أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شعبان سنة ١٣٧٨
١٧٠

٢٩
٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

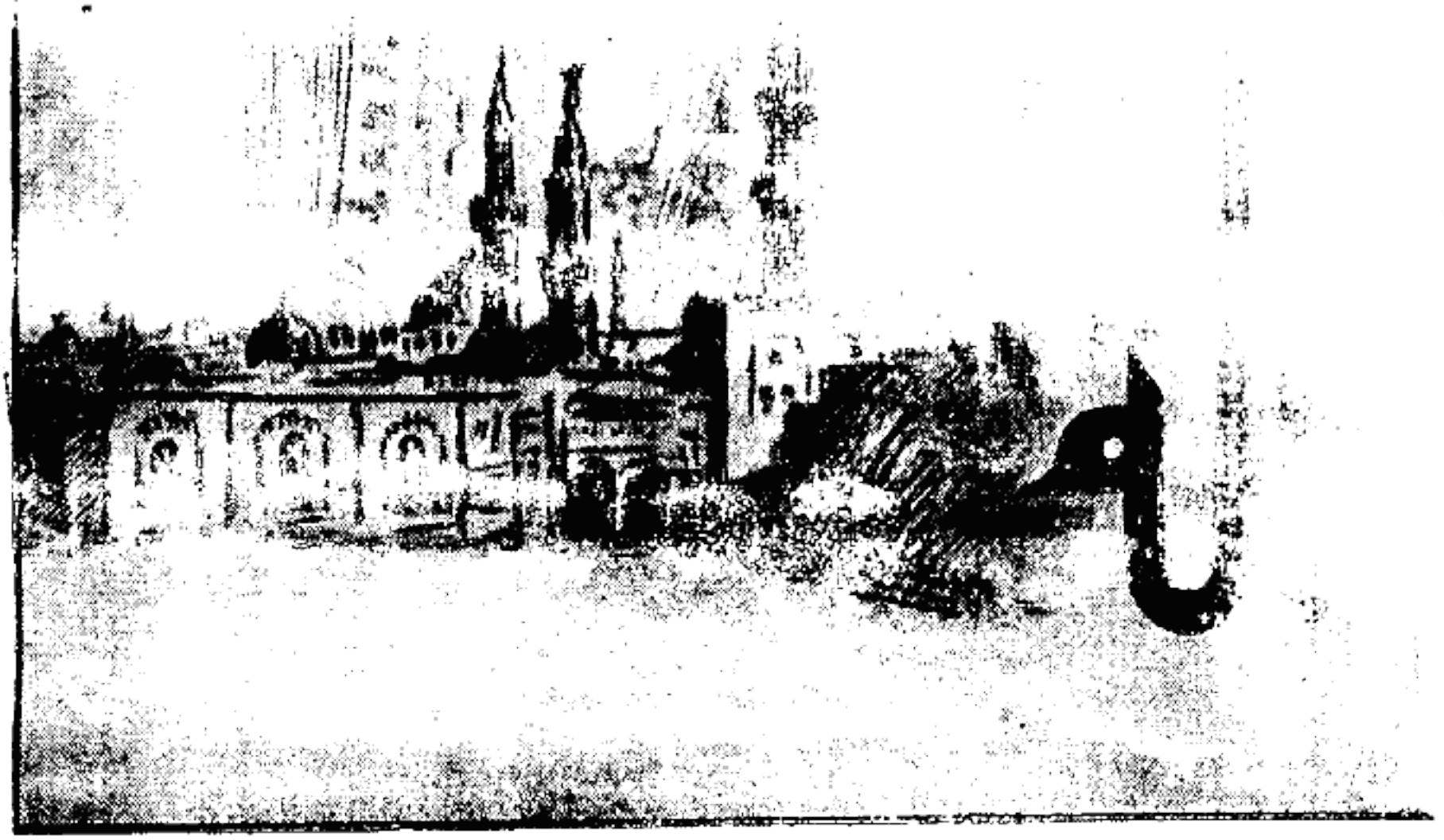

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٧ ـ ٢٠ فبراير ١٩٥٨ ـ المجلد التاسع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

العروبة

من جذورها ـ إلى أغصانها، وثمراتها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هي كلمة الله الطيبة، من الأزل إلى الأبد . . .

قد يحجبها إبليس ورهطه بأجنحتهم عن مدارك أهلها حينا، وعن أسماع الإنسانية وأبصارها حيناً آخر، ثم يظهرها الله لأهلها لعلهم يفيئون إلى أمره، ويظهرها أهلها للناس لعلهم يهتدون طريق السعادة.

هي: «كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون».

إنها شجرة طيبة فيما بين الأزل والأبد، توغلت جذورها في أعماق الأودية، وبين طبقات الأرض، لتتجدد أغصانها بتجدد الأدهار، ودورات الفلك، وازدهار الأزمان.

لقد كان من ثمراتها الشهية الناضجة في الأمس القريب إبراهيم أبو الأنبياء والصالحون من أبنائه، إلى خاتمهم وأكملهم حامل أسمى رسالات الله، محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلى يوم البعث الأكبر.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن الأمة التى كان منها إبراهيم ، كانت غصنا من دوحة أصيلة أنبتها الله فى جزيرة العرب مهد الساميين الأول ، ووطن العروبة وحصنها المنيع . قال المؤرخ الأمريكى باتون [١] : إن أول مهاجرة سامية ذكرت فى التاريخ هى مجىء جماعة من الساميين من أرض العرب إلى البقعة التى بين مصبي دجلة والفرات . ولم يذكر باتون زمن هجرتهم هذه من أوطانهم الأولى إلى العراق ، لأنها موغلة فى القدم ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة فى ذلك القطر فى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ...

والذى أبقته لنا يد الدهر من بقايا آثار هذه الحضارة من نحو ستة آلاف عام ، يتسلمه الدكتور ناجى الأصيل أمين الآثار العراقية فى بغداد ، ويتعاون رجاله على حفظه فى المتحف العراقى ، ويقومون على وصفه فى مجلة سومر باللغتين العربية والانجليزية عاما بعد عام .

وذهب العلامة المحقق الانجليزى أرشيبلد هنرى سايس A . H . Sayce ـ وهو من أعلام جامعة أوكسفورد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ـ إلى أن قبيلة من الساميين يقال لها (كلدة) كانت نازلة عند مصب النهرين فى الخليج العربى ، أى فى مقاطعة البصرة والكوفة ، وأنها طليعة الآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابلى وخيموا على ضفاف الفرات .

وقال الأب أنستاس مارى الكرملى (فى مجلته لغة العرب ٢ : ٥٧٨) : كلدة شيخ عربى ، هو مؤسس دولة الكلدان .

هذا هو الغصن المبارك الذى كان من أطيب ثمراته إبراهيم وبنوه ، وإن جذور الدوحة الكبرى التى منها هذا الغصن هى من جذور العروبة فى وطنها الحصين المنيع مهبط وحى الله ، ومنه ظهرت أقدس رسالات الله .

قال باتون الأمريكى : « ثم إن بلاد العرب عادت فغصت بأبنائها بعد ألف سنة ، فكانت الهجرة الأمورية الكنعانية (أى الفينيقية) حوالى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد » .

ويؤيد قول باتون ـ من أن أصل الفينيقيين من صميم بلاد العرب ـ ما ذكره الأب

[ ] مجلة المباحث [٢ : ٧٢٨] ، ورسالة اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب [ص ٧] .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مرتين اليسوعى (فى تاريخ لبنان طبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت ص ٢٤١) وهو أن (أرنو) وجد فى الكتابات الأثرية فى اليمن بخط المسند اسم (عشتروت) إلاهة الفينيقيين . وكان اليمنيون يسمونها (عثتر) .

ويزيد هذه الحقيقة تأييدا وتأكيدا ما رواه الرحالة اليونانى سترابون المعاصر للسيد المسيح سلام الله عليه (فى الفصل ١٦ من كتابه فى الجغرافيا رقم ٣ و ٤) حيث قال : « إذا سرت فى الخليج العربى رأيت جزيرتى صور وأرواد وفيهما هياكل تشبه هياكل الفينيقيين » . بل إن فى الخليج العربى ثغرا اسمه جبيل ، وعند انتقال الفينيقيين من وطنهم العربى على ساحل الخليج إلى سواحل الشام أنشأوا بلادا على اسم بلادهم التى هاجروا منها : صور ، أرواد ، جبيل . . .

ولما زار هيرودوتس أبو التاريخ البلاد الفينيقية ، واجتمع بكهنتهم فى هيكل (بعل ملك قرت) سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، وتحدث إليهم عن ماضيهم وأوليتهم ، كتب عنهم (فى العدد ٨٩ من الكتاب السابع) يقول : « إن الفينيقيين كما يخبرون هم بأنفسهم أقاموا أولا فى البحر الأريثرى (أى الخليج العربى) ثم رحلوا من هناك ، وجاءوا فسكنوا فى سواحل الشام » .

وفى كتاب تروغ بمبى (١٨ : ٣) وهو من مصادر التاريخ القديمة : « إن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل فى أوطانهم (وهى نجد من قلب جزيرة العرب كما سيأتى) هجروها وأقاموا أولا بالقرب من البحيرة الأشورية (الخليج العربى) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر الأبيض ، وهناك بنوا مدينة سموها صيداء لكثرة الأسماك فى ساحلها » .

وقال المؤرخ الفرنسى فرنسيس لنورمان F. Lenormand : « إن تقليد الفينيقيين الذى جمعه فى نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع فى تحرى منابع الأخبار ، وقبله تروغ بمبى المعروف بالرأى الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذى نقله سترابون ، ثم التقليد الذى كان جاريا ببابل فى أوائل النصرانية أيام أنشئ الكتاب السريانى الكلدانى فى الفلاحة النبطية ، جميع هذه التقاليد الثلاثة متفق على أن الكنعانيين (أى الفينيقيين) سكنوا فى بادئ الأمر بالقرب من الكوشيين إخوتهم الأصليين عند أرياف الخليج العربى ، أى فى الجهة التى تسمى اليوم فى المصورات الحديثة (القطيف) . وإن طريق القوافل ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الأحساء وكامل وادى غطفان إلى حد جبل طويق . وفيما وراء ذلك بقليل تميل إلى جهة الشمال الغربى فى ناحية

الوشم إلى أن تتصل بمدينة عنيزة ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارة بجميع جهة القصيم لتتصل بطريق الحاج على مساواة الحنيكية . هذه هى الطريق التى سلكها الفينيقيون عند هجرتهم من قلب بلاد العرب إلى الشام ، وذلك أمر لا يستطاع الارتياب فيه ... ولما وصل الكنعانيون إلى الحنيكية تخلفت منهم قبيلة ، وأتم الباقون سيرهم نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط . وفى تقاليد العرب القديمة أن ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتا لها » .

وقال مؤرخ فرنسى آخر وهو مسيو رنه دوسو René Dussaud (فى كتابه العرب فى سوريا قبل الإسلام ص ١٨) اعتمادا على تحقيق العلامة وينكلر Winckler : « إن المستعمرات والمصارف الفينيقية فى شمال إفريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هى نتيجة حركة اكتساح عن طريق البر كتلك الحركة التى قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم فى سوريا . ويعتبر وينكلر أن بلاد العرب كانت الموطن الأصلى للساميين ، وأن البابليين (الكلدانيين) والكنعانيين (الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجا بعد فوج كما خرج المجاهدون المسلمون فى القرن السابع الميلادى » .

وقبل أن أقطع الكلام عن الفينيقيين وثمود الذين يرى نورمان أنهم انخزعوا عنهم فى هجرتهما معا قبل الميلاد بستة وعشرين قرنا ، أريد أن أشير إلى أداة المعارف الإنسانية الأولى وهى الكتابة ، فى الدور الذى انتقلت فيه من الكتابة بالصور (كالخط الهيروغليفى) إلى الكتابة بحروف الهجاء التى يرى مؤرخو الثقافة الإنسانية العامة أن الفينيقيين هم الذين اخترعوها لأول مرة ، وأن اليونانيين ثم الرومان أخذوها عنهم . ولكن الباحثين فى تاريخ الموجات السامية والذين توصلوا إلى أن جزيرة العرب هى مهد الساميين الأول ومنها خرج الكلدانيون والفينيقيون وغيرهم ، أخذوا يتساءلون عن الأبجدية الفينيقية هل هى أصل الأبجديات ، أم أنها من تراث أوطانهم الأولى فى الجزيرة العربية ؟ وهنالك من يرى أن الكنعانيين وثمود وعرب الصفا وكذلك الحبشة وسائر الساميين لا يبعد أن يكونوا أخذوا أبجدياتهم من اليمن عن خط المسند الذى كتبت به أجيال عريقة فى القدم من اليمنيين . وإن آثار اليمن القديمة لا تزال بكرا ، وأمام رجال العلم من العرب واجبات عظيمة فى التنقيب عن تلك الآثار والعناية بدراستها . ويقول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلامة أرشيبلد هنرى سايس : إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف الهجائية كان فى بلاد العرب يكون أحسن حل لمعضلة التاريخ الأول لحروف الهجاء . لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى انطباق فى كثير من الأحوال للرموز والإشارات التى تدل عليها ، من ذلك حرف ثور (أى الألف) فان رسمه فى كتابة المسند الذى كان يكتب به المعينيون من أهل اليمن أكثر شبها برأس الحيوان (الثور) الذى سمى حرف الألف باسمه . قال : وإن المكتشفات المقبلة فى بلاد العرب ستدلنا على أنباء الشعوب التى سكنت تلك الأصقاع قبل عصر التاريخ وأسست فيها الحضارة .

ونلفت الأنظار إلى الأحقاف (الربع الخالى) الذى دلت الدلائل على أنه كان حافلا بالخصب فى أزمان عريقة فى القدم قبل التاريخ ، وكانت تسيل إليه أودية الداسر وتثليث منحدرة من جبال عسير فتنصب فى الربع الخالى وتملأه عمرانا وخصبا وخيرا ، ثم اضمحل عمرانه بزلازل وآفات سماوية تحول بها إلى بلقع ومفازات لايجرؤ أحد الآن على اقتحامها .

وهنالك دولة الحثيين الكبرى Hittites التى ملأت آثار عظمتها وسطوتها شمال الديار الشامية وسكنت بلاد الأناضول كلها قبل البزنطيين بعهد طويل ، إن هذه الدولة التى ألف عنها الأستاذ أرشيبلد هنرى سايس كتابا فى ١٥٠ صفحة (وعندى طبعته الثانية سنة ١٨٩٢) يسمى دولة الحثيين (الإمبراطورية المنسية Forgotten Empire) وإن التوراة فى كل ماتحدثت به عن الحثيين تنعتهم بأنهم إخوة الكنعانيين ـ أى الفينيقيين ـ وقد أوردنا الأدلة والنصوص على أن الفينيقيين من جزيرة العرب ، فالمعقول أن يكون إخوتهم الحثيون موجة من الموجات التى هاجرت من جزيرة العرب ، ولكن فى عهد أقدم من الزمن الذى هاجر فيه الفينيقيون إلى سواحل الشام ، بل هى موجة أعظم وأقوى وأعز شأنا . ولست أدرى لماذا لا تقوم وزارة التربية والتعليم بترجمة كتب أمثال باتون وو وينكلر وسايس وخليفته فى البحوث السامية ث . و . ثاكر أستاذ اللغات السامية بجامعة درهام باسكتلندا ، وكتاب الغصن الذهبى عن معتقدات العالم القديم للسرجيمس فريزر . نعم إن أكثر هؤلاء الباحثين ينظرون إلى هذه البحوث من زاوية التوراة ووجهات النظر اليهودية ، لكن اطلاع المشتغلين بالتاريخ العريق للأوطان السامية على كل ما يتصل بالماضى العربى والسامى أمر ضرورى جدا لفتح أبواب البحث فى جامعاتنا لهذه الأمور . بل ينبغى لنا أن نطلع على دراسات اليهود من علماء الفيلولوجيا فى جامعة القدس العبرية عن مقارنة أصول الكلمات العبرية بما يوافقها فى العربية وسائر اللغات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السامية ، فانهم يقومون بمقارنة هـذه اللغات من جذورها على حد تعبيرهم ، والاطلاع على ذلك من أهم واجبات الجامعات العربية . ومن العجيب أن يعنى اليهود بذلك ولغتهم أحدث اللغات السامية وتكاد تكون من أفقرها ، بينما العرب ـ ولغتهم هى البنت البكر للغة السامية المنقرضة ، وهى أكملها وأوسعها ، لأنها وارثتها الأولى والأعرق فى القدم ـ لا يزالون فى غفلة مخجلة عن هذا الواجب القومى والعلمى الذى ينبغى لطائفة منا أن تتفرغ له وتنقطع لدراسته ، حتى تكون مرجعا للأجانب عنه ممن مضى على اشتغال أسلافهم به مائة سنة أو أكثر .

ولما بدأت بكتابة هـذا المقال كنت أنوى التحدث عن الموجات السامية الأخرى من جزيرة العرب ، كقوم حمورابى الذين أسسوا الدولة الكلدية الخامسة قبل الميلاد بألف وستمائة سنة ، والنصوص فى هجرتها عن باروز الآرامى كاهن معبد بعل فى بلاد أشور أيام الإسكندر المقدونى ، وعن أبى دان الكاهن المصرى فى هيكل أزوريس على عهد خلفاء الإسكندر ، وبوليستور المتوفى فى القرن الأول قبل الميلاد ، وأبواو ووروس المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام . وقد نقل عن الأخيرين جورج مينسالوس وأوسابيوس قول كاهن بعل : «إن العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك فى مدة ٢٤٥ سنة » وقد اعتمد المؤرخ رولنسن رواية باروز الآرامى وحسب أن المدة التى خلت فيها الأريكة الكلدية للأسرة العربية المالكة امتدت من سنة ١٥٤٦ إلى سنة ١٣٠١ قبل الميلاد .

ومن الموجات العربية نحو الشمال هجرات بنى اسماعيل قبل الميلاد بحوالى ٦٠٠ سنة ، منهم بنو يطور بن اسماعيل الذين أسسوا مملكة فى جنوب دمشق ، وفى التوراة ذكر لهم (فى سفر التكوين ٢٥ : ١٥ و ١٦ . وفى أخبار الأيام الأول ١ : ٣١) . وإخوتهم بنو قيدار وبنو نابت الذين انتقلوا من مكة إلى يثرب ومدائن صالح فخليج أيلة (العقبة) ووادى موسى . ولبنى نابت آثار منقوشة على الأحجار بين وادى موسى والسويس ، وبين العقبة والطور . ويقول المؤرخ القديم ديودور الصقلى : إن لهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال ، وقد بطشوا بحملة أنتيغونس سنة ٣١٢ ق م بطشة أفنتها عن آخرها ومنعت أنتيغونس من غزو مصر . وقد امتدت مملكة نابت من وادى القرى على حدود يثرب إلى دمشق فى الشمال ، واتخذوا حصن (سلع) فى وادى موسى أحد فروع العربة عاصمة لهم . والرومانيون يسمون حصن سلع (بترا) أى الصخر ، وهو من أعاجيب الآثار . ومن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ملوكهم الحارث وزيد ايل وعبادة ورئبال ومالك . وانقرضت دولتهم على يد الإمبراطور تراجان الرومانى سنة ١٠٦ م . وقـد أخطأ الذين نقلوا عن الرومانيين اسم عاصمتهم بترا وكان ينبغى لهم أن يسموها باسمها العربى (سلع) ، كما أخطأوا فى تسمية هذا الشعب العـربى النبط ومملـكتهم مملـكة النبط ، وهـذا الاسم جاءهم من اسم جدهم (نابت بن اسماعيل) وكان ينبغى أن يسموا (الأنبات) . أما النبط بجيل آخر بالبطائح بين العراقين سموا بذلك لاشتغالهم باستنباط ما يخرج من الأرض .

وكان بعد هجرة بنى اسماعيل إلى الشمال افتراق بنى معد فى الحجاز وتهامة ، وهجرة سيل العرم من اليمن ، ولافتراق بنى معد تفصيل دقيق فى مقدمة معجم ما استعجم للبـكرى ، وقد أوغلوا فى سواد العراق والموصل وتـكريت والأنضول وحولوا فيها مقاطعة قهستان إلى مستعمرة عربية اشتهرت إلى هذا اليوم باسم (ديار بكر) أى ديار بكر بن وائل وهى الآن ولاية تركية فى صميم الأنضول ، كما استقرت جماهير منهم فى سنجار ونصيبين والخابور فصارت تسمى (ديار ربيعة) .

أما الموجة القحطانية التى اندفعت إلى الشمال بانهيار سد العرم فمنها الأوس والخزرج وهم الأنصار الذين نزلوا مدينـة يثرب ، وخزاعة الذين توطنوا فى مكة ، ولخم الذين ملأوا العراق ، وغسان الذين كانت لهم مملكة فى الشام ، وعاملة الذين انتشروا فى جنوب الساحل اللبنانى فخافوا أسلافهم الفينيقيين . وبلغت تنوخ أعماق سوريا الشمالية ومن سلالتها حكيم شعراء العرب أبو العلاء ومواطنوه من أهل معرة النعمان وشـيزر وما وراء ذلك فى الشمال .

وكان ينبغى لى أن أتعرض لما كان بين مصر وجزيرة العرب من وشائج وأواصر متصلة من أقدم تاريخ عرفناه لمصر حتى اليوم ، لولا أنى ألممت بشىء من ذلك فى مقال (الشعب المصرى جزء من الأمة العربية) المنشور فى جزء رجب سنة ١٣٧٥ من هذه المجلة لمناسبة صدور دستور الشعب المصرى معلنا هذه الحقيقة فى مادته الأولى .

تلك هى جـذور العروبة ، لدوحة مباركة امتدت أغصانها فى آفاق لا عهد للتاريخ بمثلها فى أمة من أمم الأرض . أما ثمراتها فسوف نحاول إحصاءها كلما رجعنا إلى أنفسنا ، وعرفنا من نحن ، وما هو تراثنا ، من أعرق الدهور فى القدم إلى أن تقوم الساعة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا ريب أن أعظم هـذه الثمرات هى التى جنيناها وسنجنيها من فيض الموجة الإسلامية الكبرى التى أعادت إلى البلاد السامية وحدتها القومية بألحان العربية الفصحى، وشملت بهدايتها ربوع الهند وجزائر أندونيسا ومدائن الصين شرقا ، كما غمرت شمال إفريقية إلى أقصى جبال الأطلس ولجج المحيط الأعظم فى الغرب، وجاست ربوع أوربا حتى وطئت خيول عبد الرحمن الغافقى جنوب فرنسا ، ورحم الله حسان العروبة فؤادا الخطيب يوم كان يترنم على مسامعنا بقوله :

تلك الحياة التى كانت محجبـة ... فى الغيب لا سأما تخشى ولا سقما
سارت مع الدهر من بدو إلى حضر ... حتى استتبت فكانت نهضـة عمما
من ذلك البيت ، من تلك البقاع ، على ... تلك الطريق مشت أجـدادكم قدما
من كل أروع وثاب إذا انتسبت ... بيض الصوارم كان الصارم الخـذما
وانقض من عدواء الدار منصلتا ... وانقل فى غمرات الموت مقتحما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
إلى الشآم ، إلى أرض العراق ، إلى ... أرض الجزيرة سيروا واحملوا العلما

وبعـد فاننا ننعى على الاستعمار الغربى ما أنزله بالعروبة فى حروب الصليبيين الأولى وفى أختها فى الأزمان الأخيرة . وينبغى لنا أن نعلم أن الذى نزل بالعروبة والإسلام من كيد الشعوبية شر من الذى لقيناه من الاستعمار . فالذى كادت لنا به الشعوبية فى ألف سنة قد أنسانا أنفسنا ، وجعلنا نسىء الظن بمعدننا ، وشوه فينا سمعة خيارنا من الصحابة إلى التابعين والفاتحين والمصلحين . وجعل مدلول الدين فى نفوس الدهماء منا غير المدلول الذى كان له فى صدر الإسلام . ولا بد أن نسارع فى الحال إلى تنقية قمحنا من الأعشاب السامة الضارة التى دست فيه . أليس من العجيب أن يفتخر مسلمو الهند وباكستان بالفتى العبقرى محمد بن القاسم الثقفى ويتبركون بذكراه لأنه كان سبب دخولهم فى الإسلام، ونحن لا نعرف أين قبر صاحب رسول الله عمرو بن العاص رائد العروبة إلى مصر وحامل لواء الهداية المحمدية فيها وسبب إسلام أهلها من زمانه إلى الآن ، فنزوره الزيارة الشرعية، وندعو له برحمة الله ورضوانه جزاء تكوينه لكياننا ، وإلغائه بشريعة الإسلام نظام الطبقات الذى كانت تنتقل به ملكية الأرض وما عليها من العمال والمواشى والأشجار من البائع إلى المشترى ومن المورث إلى الوارث ، فكان النظام الجديد الذى جاء به عمرو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى مصر أول مبطل لهذا الباطل ، ونحن لا نعرف له هذا الجميل كما ينبغى ، لأن تاريخنا قد اختلط فيه القمح بالأعشاب السامة ، وقد آن أوان إنقاذنا منها .

إن الشعوبية أفسدت علينا عقيدتنا بعروبتنا ، وأفسدت علينا حسن ظننا بسلفنا الذى كان ـ بشهادة الله له ـ خير أمة أخرجت للناس . ومن أعظم ما يكفر به الدهر عن ذنوبه للعروبة فى هذه الأيام السعيدة رجوعنا إلى أنفسنا ، واطمئناننا إلى هـذا الأصل النبيل الذى سيجتمع به شملنـا بمشيئة الله وتوفيقه . ومتى استأصلنـا من مجتمعنا جذور الشعوبية ، وأقمنا بنيان التربية والتعليم فى مدارسنا وجامعاتنا على هـذا الأساس المتين ، فسيكون منا للانسانية القوة الثـالثة المهيبة التى تعمل للحق والخير ، وتدعو إلى العـدل والرفق والتعايش السعيد فيما بين الأفراد وفيما بين الأمم ، وإن ذلك له ما بعده فى تاريخ الإنسانية إن شاء الله ؟

محب الدين الخطيب

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مصر والشام

وطن واحـــد لأبناء سام ... عربى فى خطوه ومجاله
ليس عمرو وخالد غير قطبـــين أطلا منـــه على آماله
وطن العرب خافه كل عات ... أغرق الفـاتحين بحر رماله
كفلته الصحراء شرقا وغربا ... حين فت الأعداء فى أوصاله
مصر والشام مطلعان لفجر ... عربى غطى على آصـــاله
نهضا يبعثان عصرا قديمـا ... فى جديد حاكا على منواله
مصر والشام دوحتان لشعب ... صانه الله ، مد فى أظلاله

محمد الشريقى
وزير خارجية الأردن سابقا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٥٨ —

عبرة منسية

الحياة الدنيا بين وفاة كل ليلة وبعث كل يوم

« وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار » .

حياتنا قضية زمنية تتشابه معالمها ، ويتكرر عرضها ، ويحسها الآدمى ، وتجرى على كل كائن حى .. وهى ناطقة بالعبرة ، وزاخرة بالتوجيهات ، والإنسان أقدر على فهمها ، وأعرف بمفهومها ، ولكنه سادر فى الغفلة ، وإنه فى أفق ضيق من حياته الشخصية ، ولا يفيق من غفلته إلا بعد الفصل فى القضية ، ولا يتبصر فى موقفه إلا بعد انتهاء العرض وانطواء الصفحة ... فما ذا هو مدرك بعد ذلك غير ما وعى من مشاهد القضية ؟ وما ذا هو مستحق سوى ما أحرز لنفسه من مغانم روحية يهتدى بها ، ويعيش فى ضوئها إنسانا عاقلا ، وساعيا خيرا ، وعاملا ناجحا : يتخطى دنياه التى تنطوى به بين ليل ونهار ، ووفاة وبعث متجددين ، إلى بعث دائم ، وحياة خالدة ؟ .

هذه حياتنا الدنيا نبدؤها نهارا فى جهاد ودأب ، وذهاب وجيئة ، ومنافسة وتزاحم ، وكسب وخسران ، وتنتهى بنا إلى ليل ، نقضيه فى استجمام ، وننفض على جوانبه متاعب اليوم ثم ننهض صباحا إلى ما بدأنا وننتهى مساءا إلى مثل ما انتهينا .

وقد تمر بنا الذكريات ، وتطوف بأخيلتنا العبر ، ولكنه تنبه مؤقت أشبه بالخاطر السانح ، لا يكاد يعرض حتى ينقشع ويزول .

والله تعالى يحدثنا فى هذا الشأن حديثا واقعيا ، لا تلاحقه الريبة ، وينبهنا إلى أمر نحسه ولا يتسع لجدل ، فيقول سبحانه : (ا) « وهو الذى يتوفاكم بالليل » (ب) « ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه » .

ومعنى هذا أن الله يتوفى خلقه بالليل ، ثم يبعثهم فى النهار ، وهو عالم بما يعملون من خير وشر ... ولكن عبارة القرآن ذكرت البعث فى النهار بعد ذكر العلم بما نعمله نهارا ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على خلاف ترتيب المعنى الذى بينته ، وليس فى ذلك مخالفة ، وإنما هو سياق فى التقديم والتأخير ، تأذن به لغة العرب ، ويختاره القرآن كثيرا لحكمة ربط الكلام بما بعده مثلا كما هنا .

وذكر الوفاة بالليل مقصود به النوم ، إذ الوفاة عند العرب كما تطلق على الموت تطلق على النوم ، والله تعالى يتوفى أرواح الناس بالنوم يعنى يقبضها قبضا يمنعها من التصرف فى الأجسام ، وإذا كان النوم يحصل نهارا كما يحصل فى الليل ، فالمقصود عموم الوفاة ليلا أو نهارا ، وفى تخصيص الليل به مراعاة لشأن الليل ، وما هو غالب وشائع فيه ، كما أن الشائع والغالب فى النهار أن يكون للعمل واكتساب الخير والشر ، وإن كان ذلك يحصل ليلا أيضا .

ويذكر الله تعالى : أنه يعلم ما تأتى جوارحنا من أعمال أثناء النهار ، وذلك أيضا متابعة للغالب فى أحواله ، والله سبحانه عليم بما نجترحه ليلا كما يعلم ما فى النهار .

وكثير من الناس يظن أن التعبير بالوفاة لا يكون إلا فى الموت ، وأن البعث لا يكون إلا بعد الموت ، ولكن لغة العرب أوسع من ذلك فهم يذكرون الوفاة فى النوم وفى الموت ، ويذكرون البعث فى اليقظة بعد النوم وفى الحياة الآخرة بعد الوفاة .

وخلاصة هذا أن الله يتوفى الأنفس حين النوم ويتوفاها أخيرا بالموت .

وأنه يرسل الأنفس النائمة من وفاتها هذه ، لتستأنف جهادها فى الحياة ليالى وأياما بين وفاة ويقظة ، حتى ينتهى ما قدر لها من زمن تعيشه ، ثم يمسكها بالوفاة الأخيرة بعد الأجل المسمى ـ « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » .

ويبدو من ذكر القرآن للوفاة ليلا والبعث نهارا ، أن القصد تنبيه الناس من غفلتهم ، وإقناعهم بأن الوفاة والبعث واقعان دائما ، بنومهم ويقظتهم ، وأن ما وراء الوفاة والبعث أخيرا حساب لاشك فيه ، وجزاء لا مفر منه ، فاما نعيم ، وإما عذاب أليم ، فليس للناس أن يغفلوا ما هو جار عليهم ، أو يتجاهلوا ما هو على مقربة منهم ، وهم ـ مهما عاشوا ـ فى سبيلهم إلى تلك النهاية . بعد غدوات معدودة ، وعشيات محدودة .

وأمر خطير كهذا ، بل هو أخطر الأمور المقدورة على الناس يقتضى فى حكمة الله أن يكون التذكير به دائما للناس فى نومهم ويقظتهم . ومصداق هذا قوله سبحانه : « ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتأتى الآية الثانية ، فتشعر الناس أن الله قاهر لهم ، وقادر عليهم ، وأن سلطانه فوق سلطانهم المزعوم « وهو القاهر فوق عباده » ومن مظاهر قهره وغلبته ، ومن أمارات رحمته أنه يرسل عليهم حفظة من ملائكته يراقبونهم ، ويحصون عليهم أعمالهم ويكتبونها فى صحف ينشرونها يوم القيامة ، كما أن فيهم من يتولون المحافظة على الناس من أحداث مقدرة على غيرهم ، ففلان من الناس يصادفه شىء مقدور عليه دون فلان ، فالملائكة يحفظون الآخر مما جرى على غيره ، كما يحافظون على الناس من أضرار الجن والشياطين إلى آخر ما يعلمه الله ، وعلى الوجه الذى تجرى به حكمته فى خلقه ، ولم يكلفنا باستيعابه أو فحصه فحسبنا الإيمان بما أخبرنا .

وواضح أن علم الإنسان بوجود الملائكة ، وأن لهم هيمنة على أعماله ، وتوجيها له نحو الخير ، يشجعه على الترفق بنفسه ، والاعتدال فى مسلكه ، ترضية لله ولملائكته . كما يستفاد ذلك من قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

بخلاف ما إذا كان العبد متروكا لشأنه دون مراقبة من الملائكة ، فانه يكون مهملا ومتروكا لهواه ، وشيطانه ، وتكون حياته سدى ، أشبه بحياة الحيوان الضال يسير على غير هدى ، ولا يدرك لعيشه مغزى ولا غاية .

ولكن الله تعالى كرم الإنسان فرفعه فوق هذه المنزلة ، ووصل حياته بنظامه الحكيم ، فجعلنا تحت مراقبة الملائكة ، وأعد لنا حسابا على ما قدمنا ، وسيجد الناس صحائفهم منشرة بين أيديهم فى موقف الحساب أمام ربهم ، وسيبدو لهم أن الله أحاط بكل شى علما ، وأنه سيقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ، وصدق الله فيما ختم به الآية « ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

وبعد — فما أجدر العقول أن تتنبه ، والقلوب أن تتعظ ، وما أجدر المسلم أن يبصر أخاه بما ينبهه من غفلته ، وأن يعاونه على كل خير ، إذ المسلم أمانة فى عهدة أخيه ، ينصحه بما ينصح به نفسه ، ويحجزه عن الغواية — وإن لم يفعل ذلك امرؤ وهو قادر عليه فليس حفيظا على أمانة الأخوة ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « ولا دين لمن لا أمانة له » والله يعصمنا من الزلل ويرشدنا إلى صالح العمل ؛

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة

كيف يقبض العلم ؟ ! (*)

ميراث الأنبياء ـ حياة العلم ـ رب جهل خير من علم ـ ليس العلم بكثرة الرواية ـ ورثة الأنبياء حقا ـ جهال فى ثياب العلماء ـ شرف الفتوى ـ وصاة خليفة راشد .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا ، فافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .

(رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

العلماء ورثة الأنبياء ، ما فى ذلك ريب .

والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم :

ورثوا العلم بأسماء الله وصفاته ، وسننه فى خلقه وآياته .

وورثوا العلم بكتاب الله وحدوده ، والحكم بما أنزل الله فيه .

(*) هذه ترجمة الإمام أبى عبد الله البخارى فى كتاب العلم ، وهذا لفظه فيه ، ورواه بلفظ آخر فى كتاب الاعتصام وترجمته فيه : باب ما يذكر من ذم الرأى وتكلف القياس . ورواه مسلم فى كتاب العلم كذلك ، وترجمته هناك : باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ! والحديث علم من أعلام النبوة كما ترى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وورثوا العلم بشريعة الله ودينه الذى رضيه لعباده ، وتعبدهم به ، ووصاهم أن يقيموه ويهتدوا بهديه ؛ لأنه النور المبين ، والصراط المستقيم ، إلى الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والجزاء الأوفى ، فى الآخرة والأولى .

ومصداق ذلك كله قول الله جلت آلاؤه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

* * *

ويتصل بهذا الميراث النبوى كل علم يهدى إليه ، وكل وسيلة توصل له ، متى خلصت النية ، وسلم القلب من الأمراض والعلل ، وطهر من الآفات والدسائس ؛ لا جرم أن للوسائل حكم المقاصد ، وأن للمقدمات حكم النتائج ، فى الخير والشر ، والنفع والضر ، فانما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

* * *

وغنى عن البيان أن هذا العلم النبوى ، لن يتجرد - ولا ينبغى له أن يتجرد - عن لبه وجوهره ، وحياته ونوره ، وهو العمل به والاهتداء بهديه ؛ فمن أبعد المحال أن يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات وهم فى واد وما أوتوه فى واد ، بل يهبط بهؤلاء علمهم دركات ؛ لأنه حجة عليهم وفتنة لهم . والجهل خير من العلم إذا كان فتنة ، والعياذ بالله ! !

على أن العلم لو تجرد عن العمل به لن يكون ميراثا نبويا بحال ؛ فان الأنبياء لم يورثوا من شاء الله أن يورثوه - كلاما وجدلا ، وإنما ورثوا حجة وبيانا ، وهداية ونورا ، وفقها فى دين الله عز وجل .

* * *

وغنى عن البيان كذلك أن هذا العلم ليس بكثرة الرواية ، ولا بقوة الجدل فى المناظرة ، وإنما هو - بالتلقى والتعلم - نور يهدى الله به ، ويهدى الله له من اصطفاه من عباده ، وعلامة هذا الاصطفاء أن يفقهه فى دينه ، ويلهمه الرشاد والسداد ، فان من عليه بفعله قدوة للعباد ، فذلك الذى يدعى فى ملكوت السماء عظيما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

إن العلماء العاملين ، الناصحين المخلصين ، مصابيح الظلام ، وهداة الأنام ، يبنون الأمم ، ويحيون الهمم « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هؤلاء هم ورثة الأنبياء حقا، يهتدون بهديهم، ويجددون للناس أمر دينهم، ويستغنون بالغنى الحميد عما فى أيديهم، ولولا بقية منهم لهلك العالم أجمع .

* * *

ولقد من الله على المؤمنين بهذه البقيـة ، كما من عليهم بالنبيين وخاتمهم وأصحابه من قبل ، إلا أنهـا تقل وتتضاءل - تدريجا - بقبض أرواحها ، لا برفع العـلم ومحوه من صـدورها ؛ فان الكريم إذا وهب لا يسـترد ، فما بالك بأكرم الأكرمين سبحانه ؟ ! لا نحصى ثناء عليه .

وقـد بشرنا الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ، بهذه البقية ، وبين لنـا علامتها إذ يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وإنمـا أنا قاسم والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » رواه الشيخان [١] .

* * *

وقد يبدو بين الحديثين خلاف أول النظر ، ولـكنه يذهب عند التأمل ؛ فان الحديثين لا يختلفان فى ذهاب العلم بموت العلماء من حملة الشريعة وفقهاء الأمة ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا يستفتونهم فى أمر دينهم ، فيستنـكف أحدهم أن يقول : لا أدرى ، ويتعاظم أن يرجع إلى أحد من هذه البقية التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم، أو يشق عليه الرجوع إليهـا ، لفلتها وتفرقها حتى باتت فى حكم العدم !

وحينذاك تفشو الجهالة ، وتعم الضلالة ، ويوسد الأمر إلى غير أهله ، تمهيدا لقيام الساعة على كل لـكع وابن لـكع من شرار الخلق ! !

* * *

وها نحن أولاء نرى جهالا فى ثياب العلماء ، يتصدرون للفتوى والقول على الله بغير علم ، ولا يعدمون من أتباع كل ناعق من يصدقهم ويدافع عنهم ، وهو يجهل الضرورى مما افترض الله عليه ، وإذا كان هذا وفى الأمة الإسلاميه بقية من أولى العلم والفضل ، فما بالك إذا اضمحلت هذه البقية إلى معشارها أو أقل ؟ !

* * *

---

(١) وشرحه الأستاذ حسن منصور فى م ١ ج ٥ ص ٢٦٨ - ٢٧٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا كان فى الحديث تنويه بشأن العلم والعلماء عامة ، ففيه تنويه أعظم وأجل بشأن الفتوى والمفتين خاصة ، وحسب الفتوى شرفا وفضلا أن الله ـ تعالى جده ـ تولاها بنفسه ثم ولاها خاتم أنبيائه ورسله ، ثم تولاها سادة الأمة وقادتها ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فليعد المفتون لهذا المنصب عدته ، وليعرفوا له خطره وجلالته [١] .

* * *

ورواية الإمام أحمد لهذا الحديث ـ بمعناه ـ عن أبى أمامة رضى الله عنه ، فى حجة الوداع ، تدل على مكان التحديث به ، كما تدل على مبلغ اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بالعلم وأخذه وروايته ، وتوكيد وصاته به فى آخر حياته ، وتحذير أمته ـ ولا سيما الآخرين منهم ـ أن يتهاونوا فى طلب العلم والحرص عليه حتى يقبض بقبض العلماء ! ! فيفشو الجهل ، ويستفحل الداء ، وتكون الآزفة ! ! .

وقد توجس خيفة من هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فى رأس المائة الأولى ، إذ كتب إلى أبى بكر بن حزم نائبه على المدينة :

« انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

والله المستعان على العلم والعمل به ، والفقه فى دينه والنصح له ؛

طه محمد الساكت

من وحى الوحدة

كنت حلما فى خيالى نازع الدهر البقاء
ما طلت فيه الليالى وأجابته السماء
طوف المجد وجال واصطفى خير الرجال
ثم آخى فى الكمال بين شكرى وجمال

« من قصيدة للأستاذ محمد كامل شلش »

---

(٢) انظر تفصيل هذا الإجمال فى « اعلام الموقعين عن رب العالمين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفقـــــه

الطلاق فى الاسلام

من الآخر ، لا ينسى له الإساءة و يوشك أن ينسى له الفضل الذى حث الله على عدم نسيانه

منح الله الحكيم العليم الأسرة الإسلامية مزيدا من العناية فى تكوينها ، ورسم خطوط السير لكل فرد منها ، وحث الزوجين على حسن العشرة وكريم المعاملة ، حتى ترفرف على بيت الزوجية أجنحة السعادة ، و يتعاون كل من الزوجين على جلب ما يسعدهما و يسعد ما منحهما الله من ثمرة الزوجية الموفقة من بنين و بنات ، وذلك هدف عظيم لتشريع الزواج فى الإسلام .

ولكن الأمور قد تسير فى غير هذا الطريق ، و ينزغ الشيطان بين الزوجين فيقلب سعادتهما شقاء ، و يجعل البيت المآنف جحيما حتى يضيق كل منهما بصاحبه ، و يتمنى أن لو تقطعت الأسباب بينهما ، و بعد كل عن الآخر بعد المشرقين .

هذه الحال القاسية التى تأزمت فيها الأمور ، واستعصى العلاج شرع الله الطلاق — وهو أبغض الحلال إليه — إذ لا علاج غيره ، وقد لوحظ فى تشريعه الترفق بالزوجين ، وعدم نسيان الماضى الجميل دفعة واحدة « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . فللزوج أن يلجأ إلى هذا العلاج أول مرة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، فتنحسر السحب السوداء ، و يرجع الزوج إلى زوجته وقد أدرك كل منهما خطأه وقدر موقفه ، فترفرف أجنحة السعادة من جديد على بيتهما ، و ينعم كل منهما بصاحبه ، و إن دامت الأمور على هذا كان ذلك من فضل الله وتوفيقه ، و إن ساءت وتعقدت ثانيا كان لها أن يتجرعا كأس الطلاق مرة ثانية ، لعل البرء يكمن فيها و يحصل بتكرار العلاج ، فان أنس الزوج من نفسه ومن صاحبته الشفاء من مرض الانحلال الزوجى ، والاستعداد الطيب لحياة زوجية هادئة ، كان له أن يراجع زوجته المرة الثانية ، و يستأنفا حياة زوجية مستقرة بعد ما عصفت بها الأعاصير مرة بعد أخرى ، ولعل كلا منهما يقدر هذه المرة خطورة الحال فيحرص على حسن العشرة لينعما بالهدوء و يظفرا بالسعادة ، أما إذا ركب كل منها رأسه واستأنفا النزاع والشقاق ولم ينجع الدواء ، وانقطع حبل الأمل فى الحياة السعيدة ، وصار كل من الزوجين قذى فى عين صاحبه ، فلا مناص من قطع الصلة بينهما ، و بتركل منهما عن الآخر بالطلاق الثالث الذى تبين به الزوجة ، ولا يملك بعده الزوج مراجعتها ، بل يصبح كل منهما أجنبيا

يلاحظ : أن السطر الأول مكانه فى آخر الصحيفة [٢]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ يقول : « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير » ولعل السعادة التي لم يذوقا لها طعما في اتصالهما يتمتع بها كلاهما في انفصالهما : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

هذا هو الطلاق الذي شرعه الله لحل عقدة النكاح عندما تتأزم الأمور ، وتدفع المصلحة إلى الفراق ، ويعد كل من الزوجين عن صاحبه ، وقد أعطى الله الرجل الحق في هذا التصرف ؛ إذ هو الرأس المكون للأسرة وباني عش الزوجية وشأنه — وهو المسلم المتدين — أن يقدر المصلحة في بقاء الزوجية أو انتهائها أكثر من غيره ، ولم يعطه الله الحق في هذا التصرف مطلقا ؛ ليستعمله كيفما شاء من عدل أو جور ، بل أوجب عليه العدل في المعاشرة كما أوجب عليه الإحسان في المفارقة ؛ وكرر عليه الأمر والنهي في هذا الشأن « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » ، « فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

فتشريع الطلاق إنما هو لمصلحة الأسرة فقد يكون لمصلحة الرجل ، وقد تكون المرأة أحرص عليه من الرجل ، وقد يكون لكل منهما فيه مصلحة ، وهذا هو الأغلب حتى لو كان سبب النزاع من طرف واحد ؛ إذ لابد حينئذ من فساد حال الزوجية وتدهورها إلى الحضيض ، الذي يتعين معه الانفصال واتجاه كل من الزوجين إلى حال يطمئن إليها ويستقر معها .

وربما يخيل إلى بعض الناس ، لماذا لا تكون المرأة صاحبة حق في التصرف بالطلاق ؟ ولكن الحوادث أثبتت أن المرأة لا تحسن التصرف في الطلاق ، وأنها في هذا الموضوع على الأخص تغلب عليها عاطفتها ، وتتحكم فيها ويغلق أمامها باب التفكير الصحيح ، وكم من امرأة ألحت على زوجها في طلب الطلاق ، وبعد رفضه وكثرة إلحاحها أجابها إلى ما طلبت من الطلاق ، فلطمت الخدود وشقت الجيوب وندمت حيث لا ينفع الندم ، بل قد تغلب على المرأة عاطفتها في طلاق غيرها ، فكم من أم ألحت على زوجها في طلب طلاق ابنتها ، وربما أنبته بأن ابنته ستكون في البيت بلقمتها كالخادمة ، فلما أجابها وحقق لها طلاق ابنته من زوجها لطمت ، وقالت : كأنك كنت تتحين الفرصة لطلاق ابنتك فاذا أجابها بأنها هي التي ألحت في طلب طلاق ابنته ، وأنبته على عدم إجابته ، قالت : كنت تنتظر بعض الوقت لعلنا نتدبر ، وما نحن إلا نساء لا يحصى خطؤهن ، والحوادث في تحكم عاطفة المرأة في موضوع الطلاق أكثر من أن تحصر ، فلهذا ولما قدمنا من أن الرجل هو رأس الأسرة وباني عش الزوجية ، جعل الله حق التصرف في الطلاق للرجال ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأخذ للنساء عليهم ميثاقا غليظا بحسن العشرة ، وإيتائهن جميع حقوقهن فى الزوجية وفى الطلاق ، وذلك تشريع الحكيم العليم .

على أن هناك أحوالا تكون المرأة فيها المرجع فى انفصال الزوجية إما بالطلاق وإما بفسخ العقد : فاذا ساءت حالة الزوجية ؛ لقسوة الزوج وسوء معاملته وإمعانه فى الإضرار بزوجته ، فللزوجة فى هذه الحال أن ترفع الأمر إلى القاضى وتطلب الطلاق للاضرار ، فاذا ثبت عند القاضى ما ادعته الزوجة طلق القاضى على الزوج زوجته ، وكذلك إذا كان الزوج معسرا بحيث لايستطيع القيام بشئون الزوجية ومطالبها ، فللزوجة الحق فى أن ترفع الأمر إلى القاضى ، وتطلب الطلاق لإعسار الزوج بنفقات الزوجية ، ومتى ثبت عند القاضى إعسار الزوج طلق الزوجة بنظام خاص يتبع فى ذلك ، ففى هذه الأحوال كان الطلاق بناء على طلب الزوجة وكذلك أيضا إذا ظهر بعد عقد الزوجية أن بالزوج عيبا لا تصلح معه الزوجية ؛ إما بمرض بدنى كالجذام والبرص والسل والسرطان ، أو بمرض عقلى وهو الجنون ، أو بمرض يمتنع معه التمتع الزوجى كالعنة ، فللزوجة فى هذه الأحوال أن ترفع الأمر إلى القاضى وتثبت هذا العيب وتطلب فسخ النكاح ، ومتى ثبت عند القاضى العيب الذى تدعيه فى الزوج ، فسخ القاضى النكاح بالنظام المقرر لكل عيب ، وفى هذه الأحوال كان فسخ النكاح بناء على طلب الزوجة .

وربما يخيل إلى بعض الناس أيضا ، لماذا لا يقيد الطلاق بأنه لا يجوز إلا بأمر القاضى ؟ فاذا رفع إليه الأمر تدخل فى موضوع النزاع بين الزوجين ، وربما تكون النتيجة الصلح بينهما وعودتهما إلى بيت الزوجية ، ونناقش ذلك فنقول : إن أريد بأنه لا يجوز الطلاق إلا بأمر القاضى أن الطلاق الذى يصدر من الزوج بدون إذن القاضى ، يكون باطلا ولو كانت صيغته مستوفية لشروطها الشرعية ، فهذا غير دين الإسلام ، وقد انعقد إجماع المسلمين على أنه إذا صدرت صيغة الطلاق من الزوج المكلف باختياره ، كأن قال : زوجتى طالق ، فان الطلاق يقع ، سواء حضره قاض أم لا ، وسواء أذن القاضى أم لا ، بل وسواء حضرته الزوجة أم لا ، باجماع المسلمين . فهذا سبيلهم ؛ ومن « يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وإن أريد بذلك أن يرفع الأمر إلى القاضى ؛ ليتدخل ويحسم النزاع ويتم الصلح فى كثير من الأحوال ، فنقول : إن ماذكرناه من وقوع الطلاق متى صدرت صيغته الشرعية من الزوج المكلف باختياره هو ما شرعه الدين ، أما ما يراد من المصلحة بالصلح إذا تدخل القاضى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيمكن تحقيقه بتدخل المأذون، فلا مانع من تكليف المأذون بالتدخل للصلح بين الزوجين، ومراجعة الزوج الذى يريد طلاق زوجته ؛ فلعل الله يوفق بينهما وتبقى الحياة الزوجية. وإن كثيرا من المأذونين ليتطوعون بالتدخل للصلح بين الزوجين بدافع حب الخير، وإصلاح ذات البين ، وإذا كان المأذون مكلفا بذلك كان أثره أعظم ، وهذا كله فى طلاق لم يقع بعد، ويراد إيقاعه عند المأذون، أما إذا كانت صيغة الطلاق قد صدرت من الزوج مستوفية لشروط الطلاق الشرعى، فقد وقع الطلاق، وحسب من الطلقات الثلاث التى يملكها الزوج ، ولو كان ذلك فى غيبة المأذون ، بل ولو كان فى غيبة الزوجة ، ويجب على المأذون إذا حضر لديه هذا الزوج لإثبات ذلك الطلاق ، أن يثبته حرصا على الذمم والأعراض .

والذى يهمنا أن نبين أن الدين قد شرع الطلاق لمصلحة الأسرة، وحرص على أن تنال المرأة جميع حقوقها فى الزوجية وفى الفرقة ، فليس هناك إهمال لأى شأن من شئون الأسرة، لا فى حال الاجتماع ولا فى حال الانفصال، نعم إن بعض الناس قد أسرف فى استعمال الطلاق، حتى جعل منه يمينا يريد به الحث على حصول فعل، أو المنع من حصوله ، أو تحقيق خبر، إما بقوله على الطلاق، أو بصيغة التعليق ، ولكن العلماء قد قرروا أن ذلك لا يعتبر طلاقا ، وحكم بذلك القضاة الشرعيون فى محاكمهم ، وليس من الدين أن يكثر الرجل من استعمال صيغ الطلاق هذا الاستعمال بل ذلك دليل على الطيش والسفه .

هذا الذى بينا من أن الله قد شرع الطلاق للصالح العام ، وحل الأزمات المعقدة التى لا تصلح معها الزوجية ، وأنه قد جعل لكل حالة ما يناسبها، هو نموذج لتشريع الطلاق فى الإسلام .

ونريد أن نقارنه بما عند غيرنا من علاج لحل أزمات الزوجية المعقدة، فلا نجد عند أى دين علاجا لحل هذه الأزمات ، بل الواجب عندهم ترك الأمر للزمن، ولو أدى ذلك إلى استفحال الخطب وازدياد سوء الحال، وفى مقدمة هذه الأديان : المسيحية فهى لا تعترف بصحة الطلاق مهما تأزمت الأمور ، ولو صار كل من الزوجين يرى فى صاحبه مثال الشقاء والتعاسة فيصبح ويمسى وهو ينشد :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فكل من الزوجين يعاشر صاحبه على دخل ودغل ، ويتمنى فراقه ولو بالموت .

وكثيرا ما كانت هذه الحال سببا لأن يخرج المسيحى من دينه وينبذ مسيحيته ، وقد دعا ذلك بعض المفكرين منهم إلى وضع تشريع للطلاق ، ولكنه يعتبر تشريعا مدنيا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأن الكنيسة مصرة على منع الطلاق وتحريمه ، ويرى رجالها أن كل من طلق ثم تزوج زان ، وأن كل من طلقت ثم تزوجت زانية ، وأن المسيحى لا يصح منه الطلاق مهما بلغت حال الزوجية من سوء ، فالزوج يعيش مع من يشاء من الخليلات ، والزوجة تعيش مع من تشاء من الأخلاء مع علم كل منهما بحال صاحبه ، وربما اجتمع الخليل بخليلته فى بيت الزوجية ، مع إغضاء كل من الزوجين عما يكون من صاحبه ، وذلك عملهم حيث عجز دينهم عن حل الأزمة .

أما المتحللون عندهم من الدين فيلجئون إلى الطلاق وإن كان تشريعا مدنيا لم تقره الكنيسة ، ولعلنا لم ننس بعد ، حادثة الدوق وندسور ملك الانجليز ، الذى أولع بحب امرأة مطلقة طلاقا مدنيا ، ولما أظهر أنه يريد زواجها وقف فى وجهه رجال الكنيسة ، معلنين أن طلاق هذه المرأة باطل لا يقره الدين ، وأنها لا تزال فى عصمة زوجها فلا يصح أن تتزوج غيره ، وأن الدوق وندسور وهو ملك على عرش مسيحى يجب أن يختار بين هذه المرأة التى يحبها ، وبين العرش الذى لا تغيب عنه الشمس ، ولكنه خضع لسلطان الحب واختار المرأة ، ورفض العرش الذى تتحكم فيه مسيحية لا تقر الطلاق ، ولا تعرف حلا لهذه الأزمات ، وقد كان الدوق صريحا فى تصرفه ، إذ أنه كان فى استطاعته أن يقنع باتخاذ المرأة خليلة محظية ، وتقنع هى بذلك كما فعل من قبله أمير البحر اللورد نلسون الانجليزى ، وكما يفعل أبناء جنسه الخاضعون لحكم الكنيسة عند ما تتأزم أمور الزوجية .

فبربك أيها المسلم ألا تزهو بالإسلام الذى شرع الطلاق لعلاج هذه الأزمات ، وأبغضه وهو الحلال ، وجعل لكل حال متأزمة ما يناسبها ، وقرر مبدأ عاما خاطب به الرجال إذ يقول : « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . ليتنبه الرجل إلى أنه يجب أن يكون حذرا فى تصرفه بالطلاق ، وأنه قد يضيع به خيرا أكثر مما يدرؤه من شر ، فلا يقدم عليه إلا إذا سدت فى وجهه جميع طرق الحياة الزوجية السعيدة ، وأن لا مناص من الفراق .

على أننا إذا نظرنا إلى ما يحصل من الطلاق المدنى نجده قد صار مهزلة ، وأنه وإن كان بأمر القاضى إلا أنهم قد تهافتوا عليه وأكثروا منه لأوهى الأسباب ، فمرة نسمع عن طلاق امرأة لأن زوجها يعطيها ظهره وهو نائم معها فى السرير ، وتارة نسمع أنها طلقت لأن زوجها لا يقبلها عند عودته من السفر ، ومرة يبلغنا أنها طلقت لأن زوجها أهانها بضرب كلبها ، وسمعنا أخيرا أنها طلقت لأن زوجها يصر على تربية الكناكيت فى المنزل إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غير ذلك من مهازل الطلاق التى انتقلوا بها من الضد إلى الضد ، بقى ما يقترحه بعض الناس من منح المرأة عند طلاقها تعويضا عما لحقها بالطلاق من ضرر أدبى ومادى ، ونرى أنه لا مانع من ذلك والدين يدعو إليه وهـذا التعويض هو ما يسمى فى التشريع الإسلامى متعة ، ولنبين الآيات الدالة على ذلك .

قال الله تعالى : فى سورة البقرة . « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » وقال أيضا فى سورة البقرة : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين» وقال فى سورة الأحزاب «ياأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا» فهذه الآيات تدل على وجوب تمتيع الزوج مطلقته أى إعطائها متعة غير مقدرة على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، أى على من يكون ذا سعة وغنى ما يطيقه ، وعلى من يكون ذا ضيق وقلة مال ما يطيقه ، ويرجع فى تقدير ذلك للمعروف عند الناس مع مراعاة حال الزوج من يسار وإعسار .

وذكر العلماء أن المتعة مال غير مقدر يعطيه المطلق مطلقته جبرا لما لحقها بالطلاق من إيحاش وضرر ، وبعض العلماء يوجبها لجميع المطلقات ، وبعضهم يستثنى المطلقة قبل الدخول التى يجب لها نصف المهر ، وبعضهم يرى استحبابها ، ولكن الآيات ظاهرة فى الدلالة على الوجوب وهو الراجح إلا أنهم قالوا : إن تقديرها متروك للرجل فضميره هو الذى يحكم عليه بمقدارها المناسب لحاله من يسار وإعسار .

ونرى أنه حيث جعلنا المتعة واجبة ، ويختلف مقدارها تبعا لحال الزوج من يسار وإعسار فيمكن أن نسلك بها مسلك النفقة ، فاذا قدرها المطلق وقبلت منه مطلقته هذا المقدار فبها ، وإلا كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضى ليفصل فى مقدارها ، كما يفصل فى مقدار النفقة تبعا ليسار الزوج وإعساره .

وبجميع ما قدمنا ظهر أن تشريع الطلاق فى الإسلام قد حقق المحافظة على حقوق المرأة وصيانة الأسرة ، ورعاية مصلحة كل من الزوج والزوجة ، فى حال العشرة والفرقة ، وظهرت عظمة هذا التشريع ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

عبد الرحمن عيسى
مدير مجلة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حصوننا مهددة من داخلها

« فى جامعة الدول العربية »

جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التى تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهى « العروبة » ، ومن المفيد ـ رغم تغير الظروف الآن ـ أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعباد الغربى ـ وهى انجلترا ـ لأنها كانت تطمع وقتذاك فى أن تجعل هذه المؤسسة تحت رقابتها و وصايتها ، فتكون وسيلتها إلى السيطرة على العرب جملة ، وبذلك تتحكم فى التيار الجديد فترسم له المصارف والمجارى وتوجهه إلى حيث تريد ، قبل أن يطغى سيله فيحطم السدود ويجرفها ويجرف معها كل دول الاستعباد الغربى ويمحو كل أثر من آثاره ، وقدر الانجليز ودبروا ورسموا وخططوا ، ولكن التيار كان أقوى من كل ما يدبرون . وأخذ سيل هذه القومية الجارى يشق لنفسه الطريق بعيدا عن الطرق التى رسمت له من قبل بأيد غير أيدى أبنائه ، وأصبحت القومية العربية اليوم حقيقة واقعة ، ولم تعد حلما ولا أملا . أصبحت حقيقة تعترف بها حكومتا مصر وسوريا فى دستور كل من البلدين ، وها هو ذا تيارها يجرى إلى مستقره بأسرع مما كان يحلم أكثر الناس تفاؤلا ، وهى بعد ذلك حقيقة واقعة مقررة عند الشعوب العربية كلها على اختلافها وعلى اختلاف ميول حكامها ، وهذا التطور الجديد يزيد جامعة الدول العربية أهمية ، ويجعلها الآن أهم مما كانت فى أى وقت مضى منذ ظهرت للمرة الأولى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . لذلك كان من المهم أن نستوثق من أن هذه المؤسسة قد تخلصت من كل آثار ماضيها ، وأصبحت تعمل بغير العقل الذى كانت تعمل به يوم كان الاستعباد الغربى من ورائها ، ومن وراء أصدقائه فيها .

وليس من شأنى الآن ، وليس من شأن هذه المجلة التى أكتب لها ، أن أتناول الجانب السياسى من جامعة الدول العربية ، ولكن الذى يعنينى الآن هو الجانب الثقافى . وهو جانب شديد الاتصال بالسياسة على غير ما قد يبدو للخاطر الأول . بل هو أخطر أثر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى التوجيه السياسى ؛ لأن آثاره أعلق بالنفس ، وهى لذلك أدوم فى الجيل المعاصر وأبقى فى الأجيال التالية ، ولأنه يعمل فى خفاء قد يبعده عن أعين الرقباء من رجال السياسة الذين قد لا يولونه من الاهتمام القدر الذى يستحقه ، وقد لا يتنبهون إلى أن من الممكن دائما تمييز سماسرة الاستعباد على اختلاف ألوانهم ونزعاتهم من لون الثقافات التى يروجونها والتى يدعون إليها ، فهى العملة التى يمكن أن يستدل منها على الممول ، والخاتم الذى يحمل اسم المصنع .

وسوف أتناول فى حديثى هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبدو من مطبوعاتها الوافرة الغزيرة ، وهى اللجنة التى كان يشرف عليها أحمد أمين ، ثم ورثها طه حسين بعد وفاته ، وسأقسم منشوراتها إلى ثلاثة أقسام :

(١) البحوث والمحاضرات . (٢) الكتب المترجمة . (٣) المؤتمرات .

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التى انتهيت إليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية ليضعها القارئ نصب عينيه على طول هذا المقال . هذه اللجنة كانت ـ ولا تزال ـ تنظر بغير عين العرب ، وتعمل بغير عقل العرب ، وتهدف إلى غير أهداف العرب . إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرصون على أن يكون العرب ذيلا لدول الاستعباد الغربى ، لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربى ، ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقها ، ولا يقدرونها إلا كما يقدرها ، إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعباد الغربى Westernisation أى (التغريب) . ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية ، مما يساعد على إيجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه ، وهى روابط تفيد الراكب دائما ولا تفيد الحمار ! وذلك هو ما تهدف إليه كل الجماعات التى من نوع (أصدقاء الشرق الأوسط) الآن ، أو (الصداقة الانجليزية المصرية) و (الصداقة الفرنسية) سابقا ، وهذا الذى يسميه الاستعباد الغربى (تغريبا) هو ما يسميه سماسرة ذلك الاستعباد وصنائعه (تطويرا) . وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) ، فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد ، أو بناء المجتمع الجديد ، يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين : الخطوة الأولى هى هدم (القديم) ، والخطوة الثانية هى بناء ما يتوهمونه من (الجديد) . وهم ماضون فى الهدم ، لا يرضيهم إلا أن يأتوا على بنياننا من القواعد ، بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب . ولكنهم سوف يعجزون عن البناء ، سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط أنقاض نظامه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القديم فى فوضى لا سكن فيها ولا قرار . وبوادر هذه الفوضى وأعراضها ظاهرة لكل ذى عينين ؛ ذلك لأن المجتمعات لا تبنى فى يوم وليلة ، ولكنها تبنى فى مئات السنين ، ولا تبنى فى صحف منشرة أو قاعات مغلقة ، ولكنها عملية معقدة أشد التعقيد تتفاعل فيها قوى المجتمع كله ، ويستمر هذا التفاعل أجيالا تتمخض عن هذه القواعد وهذه الأشكال ، بما تتضمنه من التقاليد والقوانين وأساليب الذوق والتفكير .

ولأكتف بهذا القدر الآن ؛ لأشرك القارئ معى فى استعراض نماذج من نشاط هذه اللجنة الثقافية ، ولنبدأ بالقسم الأول ، الذى يتمثل فى البحوث والمحاضرات . وليس من المستطاع فى هذا المقال المحدود أن استعرض هنا هذا النشاط فى كل مطبوعاته ، ولذلك سأكتفى بتقديم نموذج منه فى واحد من كتبه ، وليكن هذا الكتاب هو الجزء الثانى من (العالم العربى ـ مقالات وبحوث) الذى نشرته الإدارة الثقافية سنة ١٩٥٣ مصدرا بمقدمة لأحمد أمين رئيس هذه الإداره وقتذاك . وسأكتفى ـ على سبيل المثال ، ورغبة فى الاختصار ـ من هذا الكتاب باستعراض مقالين طويلين ، أحدهما للدكتور كامل عياد عن (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى ص ١٤٣ ـ ١٦٧) والآخر للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى عن (القانون المدنى العربى ص ٥ ـ ٢٩) .

أما المقال الأول (مستقبل الثقافة فى المجتمع العربى) ـ وهو مقال طويل يشغل خمسا وعشرين صفحة ـ فيبدو من عنوانه أن صاحبه يعارض كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر) لطه حسين . والواقع أنه لا يعارض الكتاب فى عنوانه فحسب ، ولكنه يعارضه ـ كما سنرى ـ فى أسلوبه التفكيرى أيضا ، ويتفوق عليه فى جرأته على الدين وإسرافه فى إنكار ما وراء المادة المحسوسة الملموسة من عالم الغيب ، ومحاربة كل مواريثنا الدينية والأدبية والاجتماعية على الإطلاق . وهو يبنى تفكيره على وهم خاطئ جعله أساسا لكل ما بناه عليه من الأباطيل ، فقد زعم ـ أو توهم ـ أن (الروحانية) التى يصف بها كتاب الغرب و باحثوه ثقافتنا الشرقية إنما يقصد بها صرفنا عن اللحاق بهم ، لأن هذه الروحانية (تستند إلى العاطفة والوجدان ، وتتعارض مع التفكير العقلى القائم على المشاهدة الحسية والتجربة العلمية والنظرة الموضوعية . وعلى كل حال فإنما القصد هو إظهار الفرق بين الغربيين والشعوب الأخرى ، ثم دفع هذه الشعوب إلى التمسك بعاداتها وتقاليدها وطرائق تفكيرها القديمة ؛ لئلا تقتبس الحضارة الحديثة وتسعى للتحرر من سيطرة الغربيين ـ ص ١٤٩) . وقد بنى زعمه هذا على واقعة شهد فيها مندوبا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من مؤسسة روكفلر الأمريكية يزور الجامعة السورية بدمشق ، وقد تلكأ هذا المندوب ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها إلى بعض المخابر والأجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث أن أظهر البشاشة ولم يتردد فى قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث إلى إنشاء معهد لدراسة التصوف الإسلامى . والواقع أن كاتب المقال لم يحسن فهم دلالة هـذه الواقعة ، ولم يكن على صواب فى استنباط ما استنبطه منها ، فليس صحيحا ما زعمه وما استنبطه من أن دول الاستعباد الغربى تريد أن تصرف الناس فى مستعبداتها عن اقتباس الحضارة الغربية . ليس ذلك صحيحا على إطلاقه ! فمن الثابت المؤكد أنهم عملوا على نشر مساوئ حضارتهم التى تتضمن جانب الترف والتفنن فى المتع والملذات ، وفى وسائل التسلية وتزجيه الفراغ . ومن الثابت المؤكد أنهم بذلوا جهـودا شاقة لتحويل المسلمين عن إسلامهم إلى ثقافة الغرب ، وجرهم إلى هذا التيه من الآراء المختلطة المتناقضة باسم العلم وحرية التفكير . ومجهوداتهم فى هذا السبيل مشهورة معروفة فى شمال إفريقيا وفى الهند وفى كل مـكان حـلوه ـ ولا أستثنى من ذلك مصر ، وذلك هو ما يسميه كتابهم بالـ Westernisation . ولا يزال ماثلا فى الأذهان ، أن من أول ما اشترطته فرنسا لإعادة علاقاتها مع مصر فى المفاوضات الدائرة الآن إعادة مدارسها ومعاهدها ، فهـل يفهم الناس معنى ذلك ؟ إذا لم يفهموه فها هو ذا نص واضح لا يحتاج إلى تأويل ، هو ترجمة لما جاء فى تقرير اللورد كرومر واضع أسس الاستعباد الانجليزى فى مصر ، بمناسبة تعيين سعد باشا زغلول وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ .

يقـول كرومر ، بعـد كلام طـويل عن الوطنية المصرية وصف فى ختـامه المـدرسة الفـكرية التى ينتمى إليها سعد زغـلول بأن برنامجها يقـوم على (التعاون مع الأوربيين ـ لا على معارضتهم ـ فى إدخال المدنية الأوربية إلى بلادهم) ، ونصح بأن يمنحوا كل تشجيع ممكن ، يقول كرومر بعد ذلك : إن اختيار سعد زغلول لمنصب وزير المعـارف ليس إلا تنفيذا لسياسة ترمى إلى تأييد هـذه المدرسة ، ووضع مقاليد السلطة فى يدها ، ثم يقول عقب ذلك ما نصه : (وسوف نراقب ما تتمخض عنه هذه التجربة من آثار فى عناية وانتباه . فاذا نجحت التجربة ، وذلك ما آمله وما أعتقده ، فسوف نمنح قـدرا أكبر من التشجيع للسير فى الاتجاه نفسه إلى مـدى أبعد . أما إذا فشلت التجربة ، فستكون النتيجة الحتمية لذلك هى الاعتماد فى شئون الإصلاح على الأوروبيين ـ وعلى الانجليز خاصة ـ إلى مدى أكبر مما جرى عليه العمل سابقا . وأية ما كانت الحال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع . إن العمل يسير بجد ونشاط فى إدخال المدنية الغربية إلى مصر ، وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح فى كل إدارة من إدارات البلد ، حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة للوقف ، تقوم على التطور والتدرج ، لا على الانقلاب العنيف والتغيير المفاجئ ـ الفقرة الثالثة من تقرير سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الانجليزية) . ولو شئت لقدمت كثيرا من الأمثلة التى تدعم هذا النص الذى قدمته ، ولكن أظن أن فيه الكفاية لإثبات ما بذله الاستعباد الغربى فى سبيل نشر أسوأ ما فى حضارته وإحلاله محل الإسلام فى كل مستعبداته ، يسمون صنيعهم هذا « نشر الحضارة » ويزعمونه « رسالة الرجل الأبيض » التى لا يملون من الحديث عنها ، ولكن الذى حالوا بين الناس فى مستعبداتهم وبين الوصول إليه هو الأخذ بأسباب القوة ، أو بعبارة أخرى الجانب المثمر المفيد من هذه الحضارة .

أما الروحانية التى يحاربها الكاتب عن جهل ، لأنه يزعم أن الاستعباد الغربى يشجعها فهى شىء آخر غير الصوفية التى جاء ذكرها فى قصة مندوب روكفلر مع الجامعة السورية . فالصوفية مذهب غير إسلامى فى كثير من تفاصيله وشطحاته وتقاليده ونظمه الدخيلة ، أو هو يبدو كذلك فيما هو مشهور عن كثير من فرقه التى تدعو إلى سلبية يائسة مستسلمة تعارض روح الإسلام معارضة صريحة ، وهو شىء آخر غير الزهد الذى عرف عن بعض الصادقين من الصالحين فى صدر الإسلام خاصة وفيما تلا ذلك من العصور .

أما الروحانية فاذا قصد بها نقيض المادية التى يدعو إليها الكاتب فى مقاله ، فلا شك أن كل الأديان روحانية ، لأنها تؤمن بالروح وبالغيب وبالثواب والعقاب وبما وراء المحسوس الملموس .

وكاتب المقال لا يفرق بين الثقافة التى تتصل بالجانب الروحى والخلقى والدينى من الإنسان ، وبين العلم الذى يتصل بالجانب العقلى والمادى منه . ولذلك فهو يقول : (لابد لنا من الاعتراف بأن تقاليدنا لا تتعارض مع الاقتباس من الثقافة الحديثة السائدة فى الغرب . وفى الحقيقة ، إذا تركنا المحافظين فى بعض الأقطار العربية ـ وهى فئة قد أصبحت لحسن الحظ قليلة العدد ـ فاننا لا نجد اليوم بيننا من ينكر ضرورة هذا الاقتباس . وإنما هناك فئة تسمى نفسها بالمعتدلة تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن الحضارة الغربية وعلى تلك النواحى من ثقافتها التى تتلاءم مع خصائصنا وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضعف فى هذا الرأى هى الصعوبة فى تحديد الصفات والتقاليد والعادات التى نختص بها ويجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف حول المعيار الذى يميز المحاسن من المساوئ ـ ص١٥١) . فالكاتب هنا ساخط أشد السخط على المحافظين . ويسره جدا أن عددهم يتناقص بيننا اليوم ، بل هو ساخط على المعتدلين الذين يدعون إلى التمييز بين الضار والنافع ، وما يلائمنا وما لا يلائمنا ، حين ننقل عن حضارة الغرب ؛ لأنه يريد فيما يبدو أن ننقل الحضارة الغربية (خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد وما يعاب) كما يقول صنوه طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) فى الفقرة ٩ ص ٤١ . ومن الواضح أن هذا التصور الخطر لاقتباس حضارة الغرب ناشئ من عدم التفريق بين العلم والثقافة .

فالعلم ـ والمقصود به فى الاصطلاح الأوروبى Science هو الرياضة والعلوم التجريبية ـ يتصل بالملموس المحسوس الذى أثبتته التجربة وتستطيع أن تعيد إثباته فى كل زمان ومكان ، أو هو يتصل بالمنطق العقلى الذى تشترك كل العقول البشرية فى إدراكه على وجه القطع واليقين مثل علوم الرياضة وكلها مما يشترك فى إدراك حقائقه كل الناس بقدر واحد لا خلاف فيه ، ويمكن إعادة تجاربه ومراجعتها والاستيثاق من صحتها والانتفاع بنتائج تطبيقها على اختلاف الأزمنة والأمكنة . أما الثقافة فهى تختلف باختلاف الأجناس والبيئات والأديان حسب حكمة الله سبحانه ، الذى جعل لكل قوم منسكاهم ناسكوه ، والذى جعل لكل قوم شرعة ومنهاجا ، والذى جعل الناس شعوبا وقبائل ليتنافسوا فى الخير وليتبادلوا العلوم والمعارف ، والذى جعلهم أمما ولو شاء لجعلهم أمة واحدة . والثقافة لا تتصل بالمحسوس الملموس أو المعقول المشترك كما هو الشأن فى العلم ؛ لأن بعض عناصرها يتصل بقيم الخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل ، وهى جميعا تعتمد على ما وراء المادة من الغيب الذى لا تتفق عليه العقول ولا تدركه الأفهام ولا تشمله التجربة ولا يتطاول إليه الفكر . فهناك خلاف واسع فى تقدير الخير والشر بين الكافر الذى يقول : (ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وبين المؤمن الذى يراقب فى أعماله ثواب الله سبحانه وعقابه فى الدار الآخرة . فبينما يرى الأول أن حرمان النفس مما تشتهيه ـ كل ما تشتهيه ـ ضرب من الحماقة ليس له ما يبرره ، يرى الآخر أن الإدمان على الشهوات هو عين الحماقة وقصر النظر . والمتدين يرى التفريط فى العرض والعفاف شرا ، بينما يراه الوجودى مثلا حماقة . والمتدين يرى ضبط النفس فضيلة ، بينما يراه الفرويدى شرا يسبب الكبت الذى يورث فى زعمه أمراض النفس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمسلم يرى اللص والقاتل مجرما تجب عقوبته والاقتصاص منه ، والمتفرنج الذى يعقل بأذنيه ويقلد تقليد القرود يراه مريضا خليقا بالعطف . والمتدين يرى صورة المرأة العارية قبيحة ؛ لأنه يرى معها قبح نفس صانعها ودنس شهوته التى تخالط صنعته فتنفر منها نفسه ، وقد يراها غير المتدين جميلة ؛ لأنه لا يرى إلا مفاتنها ، ولأنها تخاطب شهواته وحواسه وحدها ولا تخاطب ضميره وخلقه ، أو هى تخاطب منه ضميرا وخلقا يخالف ضمير المتدين وخلقه على الأصح . وقل مثل ذلك فى كل ما يتصل بالخير والشر ، والجمال والقبح ، والحق والباطل . فهذا الذى يدعو إليه الكاتب ، ويدعو إليه طه حسين وأضرابهما من المتفرنجين ، الذين يدعون إلى انتحال ثقافة الغرب بغير نقد أو تمييز ، لا شك أنه كما وصفه مصطفى صادق الرافعى رحمه الله : (نوع من المشاكلة بيننا وبينهم ، ووجه من التقريب بين جنسين يعين على اندماج أضعفهما فى أقواهما . ويضيق دائرة الخلاف بينهما . ثم هو من أين اعتبرته وجدت فائدته للأوروبيين أشبه بتليين اللقمة الصلبة تحت الأسنان القاطعة . وهل نسى الشرقيون أنه لا حجة للغرب فى استعبادهم إلا أنه يريد تمدينهم ـ وحى القلم ٣ : ٢٠٥) .

فى حضارة الغرب مواضع للقوة كانت سبب مجده وسيادته وتفوقه . ولكن فيها مواطن للضعف تحمل جراثيم موته ، وقد كانت سببا فيما اعتراه أخيرا من مظاهر الانحلال التى تصور أنه يسير فى طريقه إلى الدمار والانهيار . فإذا كان مفهوما أن ننقل النافع الذى كان سببا فى مجد الغرب ، فكيف نفهم الدعوة إلى نقل الضار وقد كان سببا فى الخراب ، الذى تبدو طلائعه لكل ذى بصيرة ؟ .

يزعم الكاتب أن من غير الممكن اقتباس صناعات الغرب الآلية دون ثقافته . ويدعى أننا (لا يمكننا أن نتقدم فى الصناعة الآلية ... دون نشر هذه الثقافة بين الشعب على أكبر مقياس ممكن) وأنه (لا فائدة فى أن يصبح العامل قادرا على استخدام آلة تعادل قوتها ٢٤٠ من العبيد ، إذا ظل هو نفسه خاملا بليدا عاجزا عن التفكير الذاتى وعن النقد ، لا يستطيع تمييز الأخبار الصحيحة من الكاذبة ، وينقاد إلى الإيحاء والتضليل ولا يسيطر على أهوائه ونزعاته البدائية ـ ص١٦٥) والدين هو المقصود بكل هذه الإشارات الأخيرة ، ولست أدرى إلى أى شىء قد استند الكاتب فيما يزعمه من أننا لا نستطيع الاستفادة من تجارب الغرب فى التفوق الصناعى الآلى إلا إذا نقلنا ثقافته ، أى أننا لا نستطيع ـ فى زعمه ووهمه ـ أن ننقل الصناعة وحدها دون الإلحاد والمادية والدعارة والانحلال التى تنطوى عليها ثقافة الغرب اليوم ، والتى يضج منها عقلاؤه ومصلحوه ، والتى ستنتهى حتما إلى زوال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصحاب هذه الحضارة فى القريب العاجل . هذا زعم عجيب ، هو مجرد ادعاء لا يقوم عليه دليل ، بل إن ألف دليل ودليل من الواقع ومن التاريخ ومن العقل يقوم على عكسه . وإذا كان هـذا الكاتب الذى ينطق بلسان ببغاء لا يدرك أن ثقافة الغرب ومدنيته التى يطالبنا بنقلها، قد دخلها من الفساد ما هو خليق أن يجر الغرب كله إلى كارثة تقضى عليه ، وتلحقه بالبائدين ممن حق عليهم القول فدمروا تدميرا، وإذا كان هو وأضرابه لا يصدقون إلا ما يجىء من الغرب ، ولا يرون صوابا إلا ما رآه كتاب الغرب ، فليقرأ ما كتبه المؤرخ الانجليزى المعاصر آرنولد توينبى Arnold Toynbee فى كتابه (الحضارة فى الميزان Civilisation on Trial) وفى كتابه (الحضارة والغرب Civilisation and the West) ليرى حكمه على حضارة قومه بأنها فى النزع الأخير ، وأنها تمر بمثل المرحلة التى سبقت سقوط الدولة الرومانية .

وكاتب المقال لا يعترف بأن لنا عادات خاصة ومقومات تميزنا عن غيرنا بوصفنا أمة من الأمم ، لأنه يتساءل (هل يكفى أن تستمر بعض التقاليد والعادات مدة عصر أو عشرة عصور حتى تصبح جزءا لا ينفصل من تراثنا ينبغى التمسك به ؟ ص ١٥٢) . والواقع أن هذه التقاليد التى يدعو الكاتب وشيعته إلى نبذها وهدمها هى التى تمسك المجتمع وتشده ، لأن سلطانها فوق سلطان القانون . والدليل على ذلك أن كثيرا من الناس يرتكبون جرائم القتل التى تعرض رقابهم لحبل المشنقة ، ولا يبالون سلطان القانون ، وذلك تحت ضغط التقاليد وسلطانها القاهر ، فهم يرون عقوبة القانون التى تهدد حياتهم أهون من العار الذى يلحقهم من خرق التقاليد . هذا السلطان القاهر للتقاليد هو الذى يمسك المجتمع ويشد بعضه إلى بعض ، لأنه يكون أشكالا ثابتة من الصلات والروابط ، يلتقى عندها الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأنواعهم . ومن المسلم به عند كل الباحثين ـ حتى الماديين منهم ـ أن أعمق التقاليد جذورا وأعظمها سلطانا هو ما كان مستمدا من الدين . فاذا هدمنا هذه التقاليد على ما يريد الكاتب وأمثاله ، فأى شىء يغنى غناءها ويقوم مقامها ؟ وأية سلطة تمسك المجتمع عند ذلك وتمنعه أن يتفتت ثم يزول وينهار ؟ .

لا يعترف كاتب المقال بغير الجانب المادى من الحياة ، فنظرته مادية خالصة ، واقتباساته كلها من مفكرى الغرب المعروفين بنزعتهم المادية . وبعض هؤلاء الذين يقتبس منهم ـ مثل نيتشه ـ قد اعترف اليهود فى خطتهم المشهورة ببروتوكولات صهيون ، بأنهم هم الذين نشروا آراءهم وروجوها بين الناس لإفساد عقائد غير اليهود ومجتمعاتهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يرى كاتب المقال الأديان إلا أوهاما وخرافات وأساطير . ولا يجد شيئا إلا العلم المادى الحديث الذى أوجد عصر الآلة الذى نعيش فيه . فإليه يرجع الفضل ـ حسب مايتوهم ـ (فى تحرير البشرية من الضلال والأوهام والخوف ... ولا شك فى أن أبرز أثر له هو تغييره لتفكير الإنسان . فان طريقة البحث العلمى جعلتنا نؤمن بالعقل ، ولا نتقيد إلا بالواقع الذى تدركه الحواس ولا نتقبل شيئا (كذا !) لا تؤيده التجربة . وتقتضى هذه الطريقة التحرر من العقائد الغيبية السحرية ، ومن الأوهام والأحكام السابقة . وهى تفرض علينا المشاهدة الموضوعية ، والملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجرد من العواطف والتمسك بالحياد ـ ص ١٦٤) . وواضح من كلامه هذا أنه لا يعتد بالدين كله ، لأنه يقوم على الإيمان بالغيب ، وهو لا يؤمن إلا بالمشاهد الملموس ، ويرى أن ذلك من مزايا العلم التجريبى الحديث الذى حررنا ـ حسب زعمه ـ من الضلال والأوهام والخوف .

فالأديان كلها عنده ضلالات وأوهام ، كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف ، ولم يعودوا يخافون العذاب الموهوم الذى زعمته هذه الأديان . هل هناك هدم أصرح من هذا ؟ ! وهل لا يعرف المسكين أن العلم التجريبى محدود الميدان والمدى لا يتناول إلا المدرك المحسوس . والمدرك المحسوس أقل بكثير مما لا يخضع لحسنا وإدراكنا ، بل هو لا يقاس إليه ويعتبر كأنه ليس شيئا مذكورا إلى جانبه . وقد أدرك العلم الحديث نفسه ـ الذى يتمسح به الكاتب ـ ذلك ، فعرف أن الموجات التى تدخل فى مدى إدراكنا الحسى ليست إلا شيئا ضئيلا تافها بالقياس إلى المعروف منها فضلا عن المجهول . ومن المعروف أن الكلاب والخيل وكثيرا من الحيوان ـ الأليف منه والوحشى ـ تدرك مالا ندركه . ولا نزال نعتمد على الكلاب خاصة ونستعين بها مستغلين اتساع مدى هذا الإدراك فيها .

ولا يزال علماء الفلك يقفون مشدوهين أمام ذلك الفضاء الجبار الذى لا يعرفون مقاييسه وأبعاده إلا ظنا ورجما بالغيب ، كلما زادوه تأملا انقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير . بل إن بعض ما يستنتجونه فى هذا أدعى إلى الحيرة من الجهل به . فهم يقدرون مثلا أن بعض النجوم ـ أركتورس مثلا ـ تبعد عنا ثلاثين سنة ضوئية . ومعنى هذا أن ذلك النجم الذى نراه الآن لا نراه كما هو الآن ، ولكننا نراه كما كان منذ ثلاثين سنة ، لأن الشعاع الضوئى الذى يصل إلى أبصارنا منه الآن هو الذى انبعث منه منذ ثلاثين سنة . ومعنى هذا أيضا أن من الجائز أن يكون ذلك النجم الذى يبدو لأنظارنا الآن غير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

موجود الآن فى حقيقة الأمر، لأن رؤيتنا له لا تثبت إلا أنه كان موجودا عندما انبعثت منه الأشعة الضوئية التى وصلت إلى عيوننا . وهـــذه لم تنبعث إلا منذ ثلاثين سنة . وما ينبعث منه الآن لا يصـل إلى أبصارنا إلا بعد ثلاثين سنة ، أى أنه لا يمكن التأكد من أن ذلك النجم موجود الآن إلا بعد ثلاثين سنة . ويقدر الفلكيون أن بعض المجرات يبعد عنا ملايين من السنين الضوئية، ومئات الملايين [١] أليس هذا العلم أدعى إلى الحيرة من الجهل، وأدنى إلى أن يكون تعبيرا عن جهلنا وقصورنا ؟ ثم أليس يدل هذا ومثله ـ وهو كثير فى علم الفلك خاصة ـ على ضآلة مدى العلوم التجريبية من ناحية، وعلى صعوبة إدراك حقيقة الأشياء الأصيلة من ناحية أخرى ؟ إن العقل يستطيع أن يوصلنا إلى تسخير بعض الظواهر والطاقات وتطويعها لمصلحتنا ، ولـكنه لا يوصلنا إلى حقائق هـذه الظواهر والطاقات، أليس الـكفر بالله وبالأديان، نتيجة لهذا القليل الذى أتيح لنا الوصول إليه، من آثار الـكشوف الأخيرة، لونا من البطر ومن الغرور الذى يدرك ضعاف النفوس حين يصيبون حظا قليلا من النعمة أو القوة ، فيظنون أنفسهم أربابا ويظنون أنهم يستطيعون كل شى ؟ .

حقيقة الأمر فى هـــذه العلوم التجريبية أنها مفيدة فى ميادينها المـادية فحسب ، ولـكنها غير صالحة لأن تعالج عالم المجردات الذى لا يخضع للحس لأنه لا يخضع لتجاربها . وذلك هو ما يسميه الإسلام عالم (الغيب) أى ما غاب عن الحس . ونحن مكلفون فيه بأن نؤمن بمـا جاء به الدين ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى معرفة وإلى تحديد موقفنا منه وما فيه فائدتنا بالقياس إليه . فميدان الدين إذن غير ميدان العـلم التجريبى . فالأول يستأثر بعالم الغيب، ويدبر شئون حياتنا على أساس الصلاحية لمـا بعد هذه الحياة، مما لا يتعارض مع مصالحنا فى هـذه الدنيا . والثـانى لا يتعدى عالم الشهادة ـ أى ما يخضع للمشاهدة والحس ـ والمفروض مع ذلك أن الإدراك الصحيح لحقائق المشاهد الملموس يهدينا إلى ما ينطوى عليه من نظام دقيق معجز ، كما يقودنا إلى إدراك عجزنا أمام كثير جدا من المعضلات، وهو عجز لا مفر معه من اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى . وليت كاتب هذا المقال وأمثاله يقرءون قول كبير من رجال العلم المظلوم ، الذى يحملونه أوزار كفرهم

---

[١] العالم وأنيشتين تأليف لنكولن بارنت وترجمة البرقوقى ص ٥٢ ، مع الله فى السماء تأليف الدكتور أحمد زكى ص ٢٥٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وضلالاتهم . ليته يقرأ قول أنيشتين : (إن أجمل الأحاسيس وأعمق العواطف هى تلك التى نتعرض لها عند بحث الخفايا ، لأنها تؤدى إلى العلم الحقيق . وكل من ينكر هذه الأحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة أو للرهبة ، فإنه يعتبر فى عداد الأموات . والمؤمنون هم الذين يعلمون أن هناك أشياء تخفى على علمهم . وهذا هو غاية الحكمة ، وأقصى درجات الجمال المشع التى تستطيع حواسنا القاصرة إدراكها ـ العالم وأنيشتين ص ١١٥) . وليته يقرأ قول نيلز بوهر : (إن الناس إما ممثلون أو متفرجون فى تمثيلية وجودهم . فالإنسان هو نفسه أكبر أعجوبة غامضة فى الحياة ، فهو لا يدرك الكون الغامض الذى يعيش فيه ؛ لأنه لا يدرك كنه نفسه . فهو لا يعلم إلا القليل من أمر العمليات العضوية فى جسمه . ويعلم الأقل من ذلك فى شئون عقله وقدرته على فهم الدنيا التى تحيط به . بل إن قدرته محدودة فى التعليل وفى التخيل . بل إنه يكاد يكون عاجزا عن فهم أنبل وأعجب خصائصه ، ألا وهى قدرته على السمو بنفسه وإدراك كنهها فى عملية التصور والتخيل ـ الكتاب السابق ص ١٢٧) . ليته يقرأ ذلك ـ وغيره كثير ـ ليعلم أن الكفر بالغيب ليس ثمرة المعرفة ولا ثمرة العلم ، ولكنه من آفات القليل من المعرفة والقشور من العلم .

هذا هو أحد النموذجين اللذين أردت تقديمهما لتصوير ما تنشره الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية من بحوث ومقالات . أما النموذج الآخر فهو بحث الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى أو مقاله عن « القانون المدنى العربى ـ ص ٥ ـ ٢٩ » وسنتحدث عنه فى المقال الآتى إن شاء الله .

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث
بجامعة الإسكندرية

من كلام الأحنف بن قيس

* ليس لكذوب مروءة ، ولا لحسود راحة ، ولا لسيئ الخلق سؤدد .
* المروءة أن لا تعمل فى السر شيئا تستحى منه فى العلانية .
* فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، وفضل المنطق ينتفع به من سمعه .
* لأفعى تحكك فى جوانب بيتى أحب إلىّ من أيم ردت عنها كفوا .

سلسلة الفقه الاسلامى

- ٢ -

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذه النتائج القاطعة نستطيع ، أن نقول : إن مصادر التشريع الإسلامى هى الكتاب والسنة والإجماع ، ونستطيع أن نقول فى غير شك : إن فقهاء المسلمين ما جلسوا إلى معلم رومانى ، وما قرأوا كتبا رومانية ، لأن التاريخ القاطع الذى يعترف به الرومان أنفسهم ، يدلنا على أن الوقت الذى وجدت فيه النهضة التشريعية الإسلامية حتى وصلت إلى أرقى درجاتها ، لم تكن معاصرة لرقى الدولة الرومانية بل على العكس من ذلك ، فقد كانت الدولة الرومانية فى ذلك الوقت فى عهد الانحطاط والتقهقر فى جميع نواحيها ؛ إذ أن الفقه الرومانى قد ضعف بموت الإمبراطور جستنيان سنة خمس وستين وخمسمائة ميلادية ، والإسلام قد بدأ بعد ذلك بنصف قرن . ولا يستطيع أحد أن يدعى انتقال الفقه الرومانى بعد هذا التاريخ إلى جزيرة العرب ، التى نشأ فيها الفقه الإسلامى ، بل يجمع المؤرخون على أن الفقه الرومانى ظل مجهولا عن جميع الناس حتى عن أهل أوربا أنفسهم ؛ لأنه فى ذلك التاريخ لمن تكن الطباعة معروفة ، فظلت جميع المعارف محبوسة فى دائرة ضيقة جدا ، فى أيدى مؤلفيها أو ورثتهم أو فى الكنائس وما شابهها ، والمقطوع به أنها لم تتجاوز محيط الدائرة التى وجدت فيها ، وبذلك كله تنهار الشبهة التى نشأت عند بعض الباحثين من اعتقادهم بتأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى ؛ بحجة أن الفقه الرومانى سابق فى الوجود على الفقه الإسلامى ، وهذا منشأ خاطئ لا سند له ، سببه عدم التعمق فى البحث والاستقصاء والتنقيب والسير على الطريق المنطقى الصحيح ؛ فان السبق فى الوجود الزمنى ليس وحده دليلا على أخذ اللاحق ولا سيما إذا كان للاحق ينابيع ومصادر خاصة ليست للسابق ، ولا دليل ، فكم من لاحق يأتى بالعجائب والمبتكرات التى لم تخطر على بال من سبقه من أهل فنه أو علمه ، وأقوى دليل لذلك وجود المخترعات الكثيرة العظيمة التى جدت فى أواخر القرن الماضى والقرن الحالى مما أصبحنا فى دهشة منه ، فان القمر الصناعى والصاروخ عابر القارات والتلفزيون والمناطيد وغير ذلك من المخترعات لا يمكن لأحد أن يدعى تأثر مخترعيها بمن سبقهم من أهل هذا الفن ، وكل ما يمكن أن يقال لدفع شبهة المماثلة فى بعض الأحيان ، بين الفقه الإسلامى والفقه الرومانى ، أن بعض العقول الراجحة قد تدرك المصلحة فى طريق علاج بعض تصرفات الإنسان ، فتضع لها أحكاما مناسبة ،

وقد كان لقدماء المصريين تشريعات فى الأحوال الشخصية والعقوبات والمواريث، كما كان عند الإغريقيين والكلدانيين وغيرهم من الأمم التى سبقت الرومان بأزمان طويلة ، فوجود شبه الرومانية فى الفقه الإسلامى لا يدل بأى وجه من الوجوه على التأثر . ويوضح ما ذهبنا إليه من أن الشبه بين التشريعين لا يدل على التأثر بحال من الأحوال للقطع بعدم الصلة بين التشريعين ، وهذا بعينه ما صرح به مترجم مدونة جوستنيان عند ترجمته للملحق الثانى منها ، وهو الأصول الفقهية العامة إذ قال : « بعض هذه القواعد مكرر العبارة فى المعنى الواحد ، والسبب اختلاف أشخاص واضعيها أو اختلاف عبارات الناقلين عنهم ، كما أن الأثر الواحد منها بعينه ، أحيانا ما نقلته إلى العربية بعبارات مختلفة كل منها دال على ذات المعنى تماما ، فالمطلع أن يختار منها ما يريد . وما كان من قواعد الأصول له مقابل عند فقهائنا ، قد وضعت ما قابله مأخوذا بنصه من مجلة الأحكام العدلية أو من كتاب الأشباه والنظائر ، ووضعت تحته خطا إعلاما بهذا » . وبذلك يظهر جليا وجه الصحة فيما ذهبنا إليه من القول بأن بعض العقول الراجحة قد تتلاقى آراؤها وأقوالها ، ومثل هذا التلاقى يوجد عند الشعراء والحكماء والأدباء من غير أن يكون هناك تأثر من أحد القائلين بغيره .

وإتماما للفائدة وتوضيحا للنظرية بطريقة عملية نذكر بعض الأمثلة التى ذكرها مترجم مدونة جوستنيان ، فقد قال فى القاعدة الثامنة : « الأولى تفسير العقود وفهمها على ما يقتضى إعمالها دون ما يقتضى إهمالها » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « إعمال الكلام أولى من إهماله » . وقال فى القاعدة السادسة عشرة : « العادة شرع محكم » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « العادة محكمة » وقال فى القاعدة الرابعة والعشرين : « الشىء الواحد لا يحتمل مالكين » وأتى بمقابلها من الفقه الإسلامى « المملوك لا يملك ، أو إجتماع المالكين فى محل واحد محال » وقد أفاض المترجم بذكر كثير من قواعد الأشباه والنظائر ومجلة الأحكام العدلية ، فلمن وجدت عندهم شبهة تأثر الفقه الإسلامى بالفقه الرومانى بعض العذر لعدم تعمقهم فى دراسة تاريخ القانون الرومانى ، وفى دراسة تاريخ الفقه الإسلامى ، ومن أجل ذلك ، كانت دراسة تاريخ التشريع علما هاما عند الجامعات التى تدرس فى بعض كلياتها القوانين المختلفة ، كما اهتمت بعض الجامعات بدراسة القانون المقارن لتقف على أوفق النظريات وأشدها ملاءمة للأخذ بها فى التشريعات ، وللوقوف على التراث القانونى لجميع الأمم الحية لينير الطريق أمام المشرع الحديث ، فان خير الأعمال ما كان له سند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأسس ينبنى عليها ، لتثبت خطاه و يأمن من الزال ، ولا زالت شبه تأثر الفقه الإسلامى بالقانون الرومانى فى حاجة شديدة إلى من يقوم بادحاضها وردها ، إذ أنها لا تزال باقية حتى عند بعض الأوساط العلمية إلى الآن ، حتى إن السؤال الذى وجه إلى العضو الإسلامى من لجنة تحضير الموضوعات لمؤتمر مقارنة القوانين منذ عهد قريب ، كانت صيغته على الوجه الآتى : « هل تأثرت الشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى ؟ » . فالأزهر فى أشد الحاجة إلى إعداد طائفة تجمع بين ثقافة قانونية وضعية ، إلى جانب ثقافتها الدينية التشريعية ، وعند ذلك يمكن رد كل شبهة تثار حول الشريعة الغراء .

والله يهدى العاملين إلى سواء السبيل ؛

عبد الله مصطفى المراغى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حكمة عاد وجرهم

قال أبو بكر بن دريد :

ألم تر ما أدت إلينا وسيرت ... على قدم الأيام عاد وجرهم
هم اقتضبوا الأمثال صعبا قيادها ... فذل لهم منها الشريس الغشمشم
وقالوا « الهوى يقظان والعقل راقد » ... و « ذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم »
ومما جرى كالوسم فى الدهر قولهم ... « على نفسه يجنى الجهول ويجرم »
وكالنار فى يبس الهشيم مقالهم ... « ألا إن أصل العود من حيث يقضم »
فقد سيروا مالا يسير مثله ... فصيح على وجه الزمان وأعجم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحو مجتمع إسلامي :

بين الوقاية والتقوى

يقرر الأطباء العقلاء فى قواعدهم ومبادئهم أن « الوقاية خير من العلاج » ، والوقاية هى حفظ النفس مما يؤذيها ، وإبعادها عما يضرها ؛ وإنما كانت الوقاية خيرا من العلاج لأن الحيلولة دون وقوع الداء توفر الكثير من الجهود والمتاعب ، ولأن سد الباب على العلة أسهل بكثير من معالجتها بعد أن تمكن وتحكم . ونحن نستطيع بيسر أن نصد الكثير من الآفات إذا جاءت تريد الدخول ، ولكننا قد نفشل فى القضاء عليها إذا فتحنا أمامها الباب وسمحنا لها بالدخول . والقرآن الكريم يشير إلى مكانة الوقاية وأهميتها حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة » . وحيث يقول على لسان حملة العرش فى دعائهم للمؤمنين : « وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » . والله سبحانه يجعل وقايته للمؤمنين من الشر والسوء ، منة كبرى عليهم فيقول : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

والوقاية قريبة فى معناها من « التقوى » ، لأن التقوى اتقاء واجتناب وسد للذرائع وحذر من الشبهات ، وهى ترك للمعصية وصبر على الطاعة وإخلاص فيها ، وهى جعل النفس فى وقاية من كل مخوف ، فهى إذن وقاية وابتعاد عن أسباب الشر والفساد ، وتمسك بأسباب الهدى والرشاد ، ولو أردنا أن نصف دين الإسلام بوصف وجيز مركز لقلنا : إنه « دين التقوى » . وحسبنا أن مادة « التقوى » قد ذكرت فى القرآن الكريم ما يقرب من مائتين وخمسين مرة ، والله قد وعد من وقى نفسه السيئات وحرص على الصالحات بالأمن والسعادة : « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » . والقرآن يحدثنا بأن المتقين قوم حذرون متنبهون ، فإذا لحقهم شىء لا يليق بهم من وسوسة الشيطان سارعوا بسد الطريق فى وجهه ، لأنهم أهل بصيرة وإيمان : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن الناس من يفهم أن التقوى مقصورة على أداء ألوان من العبادات أو القيام بطائفة من القربات ، وأنها لا تخرج عن ذلك ، وهذا فهم قاصر ، لأن التقوى تشمل عمل الخير واجتناب الشر ، ويتسع معناها حتى يشمل الجانب الإيجابي بأداء ما فرضه الله وحرض عليه ، ويشمل الجانب السلبي بالابتعاد عما حذر الله منه ونهى عنه ، وقد تحدث أسلافنا عن التقوى بما يفيد هذا الاتساع ، فقال ابن عباس : « التقوى كرم الخلق وطيب المطعم » وقال شقيق البلخي : « تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء : فى أخذه ومنعه وكلامه » وقال شاه الكرماني : « علامة التقوى الورع ، وعلامة الورع الوقوف عند الشبهات » . وقال أبو الحسين النيسابوري : « أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فان منه تتشعب جميع الخيرات » . وهؤلاء وغيرهم ينهلون فى أقوالهم من رحيق القرآن الذى يقول : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » ! .

وهنا نسأل : هل نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى فى حياتنا الفردية والجماعية ؟ . . .

لقد لقيني أناس فرحوا بالقرار الحكيم الذى اعتبر بيع الصور النسائية العارية جريمة ، وألغى القرار العجيب القائل : إنها فن وتنمية للذوق وليس فيها مايخل بالآداب ، وقد نشرت صحيفة (الأهرام) بتاريخ ٢ رجب ١٣٧٧هـ - ٢٢ يناير ١٩٥٨م خبر هذا القرار الذى قال : إن قرار حفظ التحقيق السابق (لايتفق مع نصوص قانون العقوبات الذى اهتدى بأحكام الشريعة فى بلد نص دستورها على أن الإسلام دين الدولة ، والدين الإسلامى - بل جميع الأديان السماوية - لا تبيح تصوير النساء العاريات ، ولا تميل إلى جعلها سلعة للبيع والشراء ، كما أن القانون يعاقب على حيازة الصور المنافية للآداب بقصد الاتجار ، ولا يمكن القول إن حيازة هذه الصور إحياء للفن والعلم) . . وجعل هؤلاء يقولون لى : لقد أفلحت الحملة الدينية على هذا الفجور ، فكنت أبادلهم تهنئة بتهنئة ، ولكنى فى الوقت نفسه كنت أسبح بخاطرى فى أفق واسع ومجال فسيح . . . كنت أتساءل : فيم كان هذا العناء واللف والدوران والجهود الضائعة والأصوات الثائرة ؟ ولماذا لا نمنع الشر إلا بضجة وبعد زوبعة ؟ . . . لماذا لا نأخذ بمبدأ الوقاية والتقوى لنريح ونستريح ؟ ! . . .

لقد طالت - مثلا - قصة هذه الصور حتى سخفت القصة وسمجت ، وضج الناس منها ، وكان من السهل الميسور أن نتقيها فنسد عليها الباب من أول الطريق ومنذ البداية . . . إن المجرمين من المتحللين قد استباحوا لحوم النساء ، وصوروا منها هذه الصور العارية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم طبعوا منها آلاف النسخ ، ثم باعوها ووزعوها ، ثم ضج الناس بالشكوى ، ثم قبض على بعض البائعين للتحقيق ، ثم أفرج عنهم وحفظ التحقيق ، ثم ثارت ثائرة الذين يغارون ، وأخيرا أعيد التحقيق ، ونحن الآن فى انتظار النتائج !!...

لماذا كل هذا يا قوم ! ... لماذا نلف وندور ونتعب ، وفى النهاية نعود إلى البداية ، وهى أن الأخلاق لا بد لها من قوامين ، وأن الدين لا بد له من حراس ، وأن التحلل داء خبيث ، وأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأن الحق لا بد له من قوة تحميه وتدافع عنه ، وأن كثيرا من الناس كعبيد العصا لا يسمعون ولا يطيعون إلا بخوف ورهبة !!...

ولقد استشهد القرار ـ زاد الله مصدره توفيقا وغيرة على الدين والأخلاق ، وهو رئيس النيابة فى شمال القاهرة ـ بالنص الوارد فى الدستور وهو أن « الإسلام دين الدولة » ، والواقع أننى تطلعت إلى هذه الجملة مرات لأتأكد من وجودها ، ولأتأكد من أن معناها الذى أفهمه هو نفس المعنى الذى يفهمه واضع القرار ... إذن الإسلام دين الدولة ... إذن قانوننا يهتدى بأحكام الشريعة ... إذن مخالفة الإسلام مخالفة للقانون ... إذن كل من يعمل على هدم ركن من أركان الإسلام ، أو مبدأ من مبادئه يكون خارجا على هذا القانون ويستحق الجزاء والعقاب ؟ ! هذا مبدأ جليل ومغنم عظيم حين نؤمن به ونحرص عليه ونخلص فى تطبيقه ... وهذا يقتضينا هنا أن نقول : إن محاكمة بائعى هذه الصور ليست هى كل شىء ... إن على الدولة هنا واجبا أكبر وأوسع ... إن من واجبها أن تعرف صاحبات هذه الصور ومصوريها وطابعيها وبائعيها ورؤساء توزيعها ثم تؤدب هؤلاء أو تهذبهم ... إن الدولة تستطيع أن تتعقب المجرم وتذيقه وبال أمره ، والذين يشيعون الفواحش والرذائل فى الأمة مجرمون ... مجرمون بشهادة القانون وبشهادة حراس القانون ، لأن هؤلاء المجرمين يحاولون هدم الكيان الاجتماعى والأخلاق والدينى ، ويحطمون مقومات الأفراد ومعنوياتهم ، ويضعفون روح الأمة وأخلاقها ...

وليست هذه الصور المباعة فى الشوارع هى كل مايشكو منه الأخيار فى هذا الباب ... فهناك غيرها ـ ومن قبيلها ـ كثير ... هناك صور عارية وشبه عارية ، وفاضحة وشبه فاضحة ، وجارحة وشبه جارحة ، ووقحة وشبه وقحة ، ومجرمة وشبه مجرمة ، تنشر هنا وهناك فى لوحات الإعلانات ، وفى النشرات ، وفى المجلات المتحللة ... ومن هذه الصور

ما هو أشنع وأفظع ، فهذه هى مجلات التحلل والانحلال تنشر علينا فاجر الصور بالآلاف ، وفى أوسع نطاق ، فأين عين الرقيب التى تحاسب على الفتيل والقطمير ؟ ... ولم لا يأخذ بالعقاب كل محرض على الإخلال بالآداب ، وكل هادم للأخلاق ، وكل متطاول على الدين والعقائد ؟ ! ...

إننا فى فترة جليلة حاسمة من فترات البناء والتعمير ، والإصلاح والتطهير ، وأساس البناء فى الأمم هو سلامة عقيـــدتها ، وصفاء طبيعتها ، ومناعة أخلاقها ، وحصانة أعراضها ، وصيانة حرماتها ، ولن يعمر بنيان قوم ـ مهما شيدوا وجددوا ـ إذا كانت أخلاقهم خرابا ، أو كانت صدورهم يبابا ، وإنما يسمو البنيان ويسمق ، ويعلو ويشهق ، على قواعد أمينة رصينة ، وأسس متينة ركينة ، من العقائد السليمة ، والأخلاق القويمة ، والأعراض الكريمة ، وصدق الله العلى الكبير حين يرشدنا إلى صراط الهدى والرشاد ، فيقول : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون » . ويقول : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ديانة الغرب

اعتقادى الجازم أن أوربا لم تعـد اليوم تمثل روح الله أو المسيحية ، ولـكنها تمثل روح الشيطان .

وأكثر ما يكون الشيطان موفقا حين يبدو واسم الله على شفتيه .

غاندى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القراءات الشـــــــاذة

آراء علماء الاسلام فيها

— ١ —

ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة، وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة .

وهذه القاعدة هى : كل قراءة وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، وثبتت بطريق التواتر . نقول : كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة ، موافقة اللغة ، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ، وثبوتها بطريق التواتر ، هى القراءة التى يجب قبولها ، ولا يحل جحدها و إنكارها . وهى من جملة الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم .

ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها فى قراءة فهى قراءة شاذة مردودة .

وينبغى أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث ، وأما الركنان الأولان فهما لازمان له ، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب . ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر ، وهو الجزء الأهم فى الحد . فلا تتصور ماهية القرآن إلا به .

والتواتر نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد جنح الشيخ مكى بن أبى طالب وتبعه المحقق ابن الجزرى ـ مع الركنين الأولين ـ إلى الاكتفاء بصحة السند . وجعلاه مكان التواتر .

قال صاحب (غيث النفع) : وهذا قول محدث لا يعول عليه ، ويؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن . ثم قال : ومذهب الأصوليين . وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين ، والقراء أن التواتر شرط فى صحة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر . ولو وافقت العربية ، ورسم المصاحف العثمانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم ، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة : منهم الغزالى ، وصدر الشريعة ، وموفق الدين المقدسى وغيرهم ، هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا . اهـ

ولذلك عرفوا القرآن بأنه اللفظ العربى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة من سوره .

قال الإمام النويرى : وعلى هذا لا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف أحد منهم فيما علمت بعد الفحص الزائد ، وصرح به جماعة لا يحصون : منهم ابن عبد البر ، وابن عطية ، وابن تيمية ، والنووى ، والأذرعى ، وابن السبكى ، والزركشى وابن الحاجب وغيرهم . وأما القراء فقد أجمعوا على ذلك أول الزمان ، وكذلك آخره . ولم يخالف من المتأخرين إلا مكى وتبعه بعض المتأخرين اهـ .

ومن كلام علماء القراءات الدال على اشتراط التواتر ما صرح به الإمام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول : ضابط كل قراءة تواتر نقلها ، ووافقت العربية مطلقا ، ورسم المصاحف ولو تقديرا ، فهى من الأحرف السبعة ، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ اهـ .

والذى توفرت فيه الأركان الثلاثة إنما هى القراءات العشر . قال فى غيث النفع : فالشاذ ما ليس بمتواتر ، وكل ما زاد الآن على القراءات العشر فهو غير متواتر اهـ .

وقال النويرى : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شىء مما زاد على القراءات العشر ، وكذلك أجمع عليه القراء إلا من لا يعتد بخلافه .

وقال الإمام ابن الجزرى فى « منجد المقرئين » والذى جمع فى زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور « وقول من قال : إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد فى زماننا ، فغير صحيح إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة ، وإن أراد فى الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى » .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا فى القراءات العشر وعلى هذا فكل قراءة وراء القراءات العشر لا يحكم بقرآنيتها ، بل هى قراءة شاذة لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارج الصلاة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الإمام النووى ، ولا تجوز القراءة فى الصلاة ، ولا فى غيرها بالقراءات الشاذة ، وليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأما الشاذة فليست متواترة ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه ، سواء قرأ بها فى الصلاة أو غيرها ، هـذا هو الصواب الذى لا معدل عنه . ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل .

وقد نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها .

وقال ابن السبكى فى جمع الجوامع ، وتحرم القراءة بالشاذ ، والصحيح أنه ما وراء العشرة انتهى ، ومثل ذلك عن ابن الحاجب .

وقال ابن الصلاح ، وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر منع تحريم لا منع كراهة ، فى الصلاة وخارجها ، ويجب على كل أحد إنكارها ، ومن أصر عليه وجب منعه وتأثيمه وتعزيره بالحبس وغيره ، وعلى المتمكن من ذلك ألا يهمله .

واستفتى الإمام ابن حجر العسقلانى عن حكم القراءة بالشاذ فقال : تحرم القراءة بالشاذ وفى الصلاة أشد ، ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية فى تفسير الشاذ أنه ما زاد على العشر : بل منهم من ضيق فقال ما زاد على السبع اهـ .

وقال السخاوى : لا تجوز القراءة بشىء مما خرج عن الإجماع ولو كان موافقا للعربية وخط المصحف ولو نقلته الثقات لأنه جاء من طريق الآحاد ، وتلك الطريق لا يثبت بها القرآن اهـ .

ونقل النويرى عن شمس الدين الديرى أنه قال : لا يجوز اعتقاد القرآنية فى الشواذ التى لم تنقل بالشهرة والتواتر ، ولا يجوز إيهام السامعين قرآنيتها ، لاسيما إذا كان فى الصلاة ، وما زاد عن السبع فهو فى حكم الشاذ وإن تفاوتت طرق نقله ، وإذا نهى عن ذلك فلم ينته ، وجب الإنكار عليه ، ومقابلته بما يزجره اهـ .

ونقل النويرى عن أبى عمرو بن العلاء أنه رد قراءة « فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد » بفتح الذال والثاء ، فقال له رجل : كيف وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم هـذه القراءة ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم ما أخذته عنه ، أتدرى لم ذلك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به الأمة ، وإنما أنكر أبو عمرو هذه القراءة لأنها لم تبلغه على وجه التواتر ، وقد يتواتر الخبر عن قوم دون قوم .

وورد عن أبي حاتم السجستانى أنه قال : أول من تتبع بالبصرة وجوه القرآن وتتبع الشاذ منها هرون بن موسى الأعور ، فكره الناس ذلك منه وقالوا : قد أساء حين ألفها ؛ لأن القراءة إنما يأخذها قرن عن قرن ، وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من وراء وراء اهـ .

وهذه النصوص التى نقلناها عن أئمة الإسلام وعلماء القراءات تدل فى صراحة وجلاء على أمور :

أولا : أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، ولا يكتفى فى ثبوته بصحة السند .

ثانيا : أن القول بالاكتفاء بالسند الصحيح غير المتواتر قول حادث ، مخالف لإجماع الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعلماء القراءات ، سلفهم وخلفهم إلا من لا يعتد بقوله ، ولا يعبأ بخلافه .

ثالثا : أن التواتر منحصر فى القراءات العشر التى نقرؤها الآن بل قيل فى السبع فقط .

رابعا : أن ما وراءها من القراءات فهو قراءات شاذة ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات واشتهرت واستفاضت ؛ فان ذلك لا يخرجها عن شذوذها فلا تسمى قرآنا ، وتحرم القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، بل يحرم على المسلم اعتقاد قرآنيتها وإيهام السامعين أنها من القرآن ، ويجب على كل مسلم يحترم القرآن ويؤمن به أن ينكر على من يقرأ بهذه القراءات ، ويمنعه من القراءة بها منعا باتا ، ويعزره بالحبس وغيره إن استطاع إلى ذلك سبيلا .

هذا رأى جماهير العلماء من الأصوليين والفقهاء والمحدثين وعامة علماء القراءات ، ولم يشذ عن هذا الرأى إلا أفراد قلائل لا يحفل بهم ولا يلتفت لآرائهم ، منهم مكى ابن أبى طالب والشيخ ابن الجزرى ذهبا إلى الاكتفاء فى ثبوت القراءة بصحة السند ، وإن لم تكن متواترة ، فالقراءة التى نقلها الثقات بطريق الآحاد ووافقت الرسم والعربية فهى قراءة مقبولة عندهما ، ويصح القراءة بها فى الصلاة وخارجها ، ولكن بشرط أن تظفر هذه القراءة بالشهرة والاستفاضة والتلقى بالقبول ؛ أما القراءة التى نقلها غير الثقات ولو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وافقت العربية والرسم، أو نقلها الثقات وخالفت الرسم أو العربية، أو نقلها الثقات ووافقت الرسم والعربية ولكن لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة، فهى بأقسامها الثلاثة قراءة شاذة مردودة.

وبنا على هذا نستطيع أن نحكم - فى اطمئنان ونثبت - على القراءة التى انفرد بنقلها المشايخ الأربعة ابن محيصن ويحيى اليزيدى والحسن البصرى والأعمش أو أحد هؤلاء أو راو من رواتهم بأنها قراءة شاذة مردودة لا تسمى قرآنا، ويحرم اعتقاد قرآنيتها، وإيهام السامعين أنها من القرآن، وتحرم القراءة بها مطلقا ويعزر من يقرؤها، وهذا كله باجماع العلماء حتى ابن الجزرى ومكى بن أبى طالب.

أما عند جماهير العلماء فلأن هذه القراءة لم تنقل إلينا بطريق التواتر، إذ التواتر منحصر فى القراءات العشر كما تقدم.

وأما عند ابن الجزرى ومكى فلأن بعضها مخالف لسواد المصحف مثل «اهدنا صراطا مستقيما» فى سورة الفاتحة فى قراءة الحسن، وبعضها مخالف للغة العرب كما سيأتى:

وهى كلها على فرض صحة سندها وموافقتها للرسم واللغة لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة. وهما يشترطان فى صحة القراءة التى لم تثبت بالتواتر أن تكون صحيحة السند، موافقة للرسم والعربية، وأن تظفر بالاستفاضة والشهرة.

إذا قراءة هؤلاء الأربعة شاذة باجماع علماء المسلمين ٤

يتبع

عبد الفتاح القاضى
المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية

تفاوت الأفهام

ما جعل الله سبيل المصلحة والمفسدة إلا من أفهامنا، حتى إن الأدمغة لتعد من أكبر العلل فى أمراض التاريخ الإنسانى، وربما كانت العلة الكبرى فى طائفة من الطوائف صورة أثرية لأكبر رأس فيها.

مصطفى صادق الرافعى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر يكافح سموم المخدرات

وجه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنيخى مدير الوعظ والإرشاد إلى كل من أصحاب الفضيلة الوعاظ الكتاب الآتى :

أيها الزميل : ....

السلام عليكم ورحمة الله ـ أما بعد ـ فانك تعلم ـ أعزك الله ـ أن العقل والصحة من أجل نعم الله التى أنعم بها على عباده ، بل هما أغلى وأكبر النعم ، فالعقل السليم يهدى إلى البر ، ويميز بين الخبيث والطيب ، ويعرف الهدى من الضلال والرشد من الغى ، والصحة تعين صاحبها على القيام بالواجب : نحو ربه ونحو نفسه ونحو وطنه على أكمل الوجوه وأحسنها (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) . ولذلك وجبت المحافظة عليهما وصيانتهما مما يؤذيهما ويضرهما ، ولقد راعنا أيها الزميل انتشار المخدرات فى أمتنا العزيزة بشكل مروع ، يخاف منه أن يذهب بعقول الكثير من أفرادها وصحتهم ، وينهك قواهم ويضعف عزيمتهم ويضيع أموالهم ، فلا يلبثوا أن يكونوا عالة على الأمة ، وتنتشر البطالة بين بنيها ، وإن حكومتنا الرشيدة تعمل جاهدة لمنع دخول هذه السموم إلى بلادنا العزيزة محافظة على كيان الأمة ومعنوياتها ، ولكن أعداء بلادنا ـ قاتلهم الله ـ يحتالون بشتى الحيل لتسرب هذه المهلكات الفاتكات إلى بلادنا بغية إذلالها وذهاب النخوة والقوة من نفوس أهليها وتعثر الأمة فى نشاطها وحركتها الصناعية والتجارية والزراعية .

فتأمل أيها الزميل أن تجد فى تبصير الناس بمغبة تعاطى تلك المخدرات ، وبيان حكم دينهم : فى استعمالها أو الاتجار فيها أو تهريبها أو إحرازها ، فان الدين سلطانه على النفوس ، ويحل من القلوب المحل الأرفع ، ووازع الدين أقوى وازع ، وأحسن هاد إلى الصراط المستقيم .

أيها الزميل : إن الله سبحانه يقول : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) . وقد آتاك ربك الكتاب فضلا منه ونعمة ، فبينه للناس وعلمهم أحكامه صافية نقية ، وأرشدهم به إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، والله يتولى هدانا وهداك ، ويسدد خطانا وخطاك ، ويهدينا صراطا سويا (من يهد الله فهو المهتدى) ما

محمد الطنيخى

مدير الوعظ والإرشاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسئولية فى الاسلام

— ٣ —

فى هـذا المقال سأتحدث عن المسئولية الثالثة ، وهى مسئولية النساء حسبما جاء بهـا الحديث المتفق عليه « كلـكم راع وكلـكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، الحديث ... » .

وبعد أن كانت المرأة قبل الإسـلام تسام كما يسام الحيوان ، ولا يقام لهـا وزن ولا تناط بها تبعة ، جاء الإسلام فرفع من شأنها ، وجعل عليها مسئوليات جساما نحو نفسها وزوجها وأولادها ، وجعل لهـا ولاية تتفق وفطرتها وطبيعتها وهى ولايتها على شئون بيتها ، والله الذى خلق الزوجين الذكر والأنثى ناط بكل منهما مسئوليات ، فالرجل يكد ويعمل ، وينفق ويوجه إلى خير الطرق وأقومها ، والمرأة تهيئ له ولأهله وولده الغذاء الشهى والشراب الهنى والمسكن النظيف الهـادئ ، وتتقبل إرشادات الرجل الحصيف وقوامته عليها بقبول حسن ونفس راضية مطمئنة .

وهذا الحـديث الشريف نص صريح فى تحديد مكان المرأة فى الحيـاة ومنزلتها فى المجتمع ، وهـو قيامها على المملـكة الصغرى وهو البيت ، وإذا علمنا أن البيت هو البيئة الأولى التى تكون الأولاد ، وتعدهم للمدرسة والمجتمع ، وأن لهذا الإعداد آثارا بعيدة المدى فى حياة الأولاد ومستقبلهم ، أدركنا عظم هذه المسئولية الملقاة على كاهل النساء ، وبقدر قيام المـرأة على شئون بيتها ورعايه زوجها وولده وأهله يكون تقدـم الأمة ورقيها ، وبقدر تفريطها فى هذه المسئولية تـكون الخسارة على بيتها وأمتها .

إن مكان المـرأة فى المجتمع هو البيت والقيام على شئونه ، أما المصنع ، أما المعمل ، أما الديوان ، فكل ذلك لا يوائم فطرتها وضرره أكثر من نفعه إن كان فيه نفع ، وقد جارينا فى الخروج بالمرأة عن طبيعتها أمما أخرى لا توافقنا فى بيئة ، ولا فى دين ، ولا فى تقاليد كريمة ، وها هى اليوم تئن وتتوجع مما جره عليها اشتغال المرأة بغير شئون بيتها من مآس أخلاقية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وغير أخلاقية ومسئولية المرأة عن بيت زوجها وأهله تشمل مسئوليتها عن : (١) زوجها (٢) وعن أولادها (٣) وعن أهل زوجها .

مسئولية المرأة عن زوجها :

وإذا كان الإسلام قد جعل للنساء على الرجال حقوقا فقد جعل للرجال على النساء حقوقا ، وزاد للرجال على النساء درجة وهو حق القوامة عليها بحسن الإرشاد والتوجيه بهذا صدع القرآن الكريم قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » [١] وقد جعل الإسلام حق الزوج على زوجته أعظم الحقوق وأجلها وذلك لما له عليها من أياد وآلاء ، ففى الحديث الذى رواه الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » حديث حسن صحيح .

وقد سما الإسلام فى باب بناء الأسر وإقامتها على أساس من التعاون ورعاية الحقوق ، بجعل رعاية الزوجة لزوجها وإحسانها إليه فى العشرة جهادا ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « جهاد المرأة حسن التبعل » ـ أى حسن القيام بحقوق البعل ـ أى الزوج . ويسمو الإسلام أيضا فى الإيحاء إلى المرأة بالحرص على كسب ود زوجها ورضاه ، حيث جعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إرضاء الزوج فى حدود المشروع سبيلا إلى دخول الجنة فيقول : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، وأعظم بدين يجعل رعاية حق الزوج جهادا وسبيلا إلى الجنة ! ويمكننا إجمال رعاية الزوجة لزوجها فيما يأتى : ـ

١ ـ رعاية حق الزوج فى نفسها بأن تكون حصانا عفيفة ، فلا تمد طرفها إلى غير زوجها ، ولا تمكن أحدا من أن يطأ فراشه ، ولا تدخل البيت أحدا يكره الزوج دخوله وأن تكون رعايتها لحقوق زوجها فى غيبته كرعايتها له فى حضرته بل أشد ، وعلى هذه الرعاية تتوقف الحياة الزوجية وسعادتها ، وبقاء هذه العلاقة الوثقى إلى الأبد ، وقد أثنى الله سبحانه فى كتابه الكريم على هذا الصنف العفيف الأمين الحفيظ للأمانة والعهود بقوله : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من

[١] البقرة الآية ٢٢٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » [١] . وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا الحق فقال فى خطبته فى حجة الوداع : « فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف » رواه مسلم . وفى حديث آخر : « ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

فاين من هذا الأدب الإسلامى العظيم فى رعاية حرمة الزوج ما تفعله بعض النساء من طموح العيون إلى غير الأزواج، وإلانة الكلام ثم تكون المواعدة واللقاء، وما تفعله بعض الزوجات من لقاء أصحاب الأزواج والأصدقاء وإدخالهم البيوت فى غير حضرة الأزواج، بل جاز الحد حتى عم السيل وطفح الكيل، فاقمن الحفلات الصاخبة الماجنة للصديقات والأصدقاء على غير رضا من الزوج بل على كره منه، ولا يملك الزوج الضعيف المسكين إلا السكوت والإذعان، وإلا كان ما لا تحمد عقباه .

٢ — من رعاية المرأة لزوجها أن تكون مثالا للطهر والنظافة وعفة القول والتنزه عن القبيح قولا وعملا، وأن تحرص على أن لا تقع عين زوجها منها على ما يكره، وأن تكون له سميعة طائعة ما دام لم يأمرها بمنكر ولم ينهها عن معروف، وأن تؤثر رضاه على هواها وشهوتها ومتعتها، وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم خير النساء دينا ودنيا فقال فيما رواه ابن جرير عنه : « خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » . فلتحرصن أيتها النساء المسلمات الحريصات على رضاء الأزواج أن تكن كما وصف رسول الله ؛ فان ذلك أحرى أن يديم بين الأزواج المحبة والمودة ويوثق عرى الزوجية، إن الزوجة العاقلة المؤمنة يمكنها بحسن منطقها وطهارة خلقها وخلقها ولطف عشرتها أن تحول بين زوجها وبين الهروب من البيت وقضاء السهرات التى قد تكون بريئة فى مبدأ أمرها، ثم لا تلبث أن تسير سهرات صاخبة وغير بريئة .

٣ — من حق الزوج على زوجته أن تعفه وأن تعينه على أن يغض بصره ويحصن فرجه بأن تملأ عينيه رواء وحسنا ونفسه سرورا وأنسا، وأن لا تتأبى عليه إذا ما دعاها إلى فراشه، وإلا عرضت نفسها لغضب الله ولعنة الملائكة وباعدت بين نفسها وبين

---

[١] النساء الآية ٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجنة ، وفى الحديث الذى رواه الشيخان مرفوعا « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» . وفى رواية أخرى «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . وهذا أمر قد يظنه بعض الناس هينا ، ولكننا إذا علمنا أن كثيرا من الشرور والآثام ، تنجم عن تأبى على الزوج وعدم إرضاء داعى فطرته أدركنا بعد نظر الإسلام فى تشريعاته وتنبيهاته و إرشاداته ، وأن كثير من الانحرافات الزوجية ترجع إلى التفريط فى هذا الحق من جانب الزوج أو الزوجة وعدم إعفاف كل منهما الآخر ، ولحرص الإسلام على هذا الإعفاف قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد - أى حاضر - إلا باذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا باذنه» متفق عليه .

٤ — ومن المسئوليات التى ستحاسب عليها المرأة رعايتها لمال زوجها وما تحت يدها من معاش أو متاع ، والزوجة العاقلة المدبرة هى التى تراعى حال زوجها إعسارا ويسارا ، فلا ترهقه بما لا يدخل تحت طاقته ، وتراعى القصد فى معيشتها وفى ثيابها ومتاعها وزينتها ، وتتجنب قدر استطاعتها التبذير و إنفاق المال فى غير وجوهه المشروعة ، قصد التباهى والتفاخر بغالى الثياب وفاخر الأثاث والرياش ؛ وفى هذا غفلة عن إرشاد القرآن الكريم حيث يقول : « ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا [١] » ويقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما [٢] » .

إن الزوجة العاقلة المؤمنة هى التى تنظر إلى من دونها فتشكر الله على ما أنعم عليها ، ولا تنظر إلى من فوقها فتزدرى نعمة الله عليها . ومن توجيهات النبى صلى الله عليه وسلم السديدة فى هذا « انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » متفق عليه .

والمرأة مؤتمنة على مال زوجها ، وليس لها منه إلا ما يكفيها و بنيها بالمعروف ، من غير تقتير ولا إسراف ، وليس لها أن تنتهز فرصة كثرة ماله ، أوائتمانها عليه فتذروه ذات اليمين وذات الشمال على ملاذها و إرضاء نزعة الغرور والتفاخر المتسلطة عليها ، و إلا كانت آثمة فى حق زوجها ، وبحسبنا هذا اليوم وتتمة الحديث عن مسؤليات المرأة فى مقال آت إن شاء الله ﷻ

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] الاسراء الآية ٢٦ - ٢٧ . [٢] الفرقان الآية ٦٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عقائد الألوهية والربوبية

كما قررها الإسلام

كانت شعوب العالم قبيل البعث الإسلامى ، قد ضلت فى عقائد الألوهية والربوبية ضلالا بعيدا ، ولم يقف هذا الضلال عند حدود الأمم التى طغت عليها الوثنية بأضاليلها وأباطيلها ، بل جاوزها إلى الأمم التى كانت على صلة بشرائع النبيين والمرسلين ، فقد امتدت أيدى قادتها الدينيين إلى كتب أنبيائهم ورسلهم ، فحرفوا و بدلوا فيها بجهلهم وسوء طو ياتهم ، وافتروا على الله الكذب فى صفاته تعالى وأفعاله وشرائعه ، فشوهوا بذلك توحيد أنبيائهم وشرائع رسلهم ، وبقى هذا الضلال مسيطرا على الشعوب فى عقائدها وأعمالها ، حتى جاء الإسلام بهديه وإصلاحه ، فأصلح ما فسد من العقائد وما ضل من الأعمال ، وحرر الأفكار من أوهام الوثنية وخرافاتها ، وردّ العقول الضالة إلى رشدها ، وأعاد توحيد النبيين إلى أصوله الحقة الخالصة ، وأرشد الضالين والمنحرفين إلى ينابيعه العذبة الصافية .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولقد عنى القرآن بتقرير عقائد التوحيد والتنزيه عنايه كبرى ، وجلاها للعقول فى أساليب رائعة محكمة ، جمعت بين الإقناع العقلى والتأثير القلبى ، بما اشتملت عليه من القضايا العقلية والحقائق الوجدانية ، وما أودع الله فيها من الروعة البلاغية والقوة الروحية ، والإبداع فى تجلية الحقائق وتصوير المعانى ، فاستمع إلى القرآن بعقلك ووجدانك ، وهو يقرر عقائد الألوهية والربوبية .

تارة بتوجيه العقول إلى مسارح الفكر فى عوالم السموات والأرض ، وما فيها من الآيات الواضحة والدلائل القاطعة ، على أن لهذه العوالم صانعا خلقها بعد أن لم تكن ، إذ كان الله فى الأزل موجودا ولا موجود معه ، فأحدث العوالم إظهارا لقدرته وحكمته ، وتعريفا بجلاله وعظمته ، وتنويها بسلطانه وقهره ، كما فى قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » . « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ » . « وفى الأرض آيات للموقنين ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » . « ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون » . وهكذا خاطب القرآن العقول والأفهام ، وأيقظ الحواس والمشاعر ، وعرض عليها روائع النظم الكونية وبدائع السنن الإلهية ، لتتخذ منها كتابا تشاهد فيه عجائب الملك والملكوت ، وتقرأ فى صحائفه سنن الله فى الخلق والتدبير ، وتطالع فى سطوره آثار قدرته ودلائل وحدانيته .

فوجود الكون على هذا النظام البديع المحكم ، دليل قاطع على وجود خالقه ومبدعه ، لأنه إذا كان المشاهد فى مصنوعاتنا وأنظمتنا ، أنه لا يمكن أن يخرج منها شيء إلى ساحة الوجود ، ولا أن يكون فى وجوده بديع الإتقان والإحكام ، مستكملا لعناصر الوجود ووسائل البقاء ، إلا إذا كان صادرا عن صانع ماهر صنعه وأحسن صنعه ، ومنظم خبير نظمه وأحكم تنظيمه ، فكيف يستقيم فى حكم العقل ومنطق الحق ، أن يوجد هذا الكون على اختلاف عوالمه وأنظمته الهائلة ، بغير صانع قادر صنعه بقدرته ، ومبدع حكيم أبدعه بحكمته وإرادته ، وحى قيوم يقوم بحفظه وتدبير أمره ، اللهم إن الحق واضح جلى ، ووجودك يا ربنا ماثل فى كل شيء أمام العقول ، والإحساس بعظمتك كامن فى أعماق النفوس ، والشعور بجلالك منبث فى شغاف القلوب وخبايا الضلوع ، ولكن أكثر الناس ضلوا طريق الهدى وهو على كثب منهم ، وإلف العادة أنساهم دلائل الآيات وهى محيطة بهم ، يشاهدونها فى كل لحظة وهم عنها غافلون ، وتطالعهم بدلائلها فى كل آونة وهم عنها معرضون ، كما قال تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

والنظر فى عالم الكون وبدائعه ، هو أقرب طريق لمعرفة جلال خالقه وعظمة مبدعه ، فان الإنسان إذا ما نظر لنفسه ، وهى أقرب مجال إلى فكره كيف خلقه الله من نطفة أخرجها من بين الصلب والترائب ، وجعلها فى قرار مكين إلى وقت معلوم ، وأجرى عليها أطوارا مختلفة من الخلق والتكوين ، ثم أنشأه خلقا ناميا وإنسانا ناطقا ، وإلى الأرض التى يمشى فى مناكبها ، كيف جعلها الله فراشا ومهادا ، وسلك فيها سبلا فجاجا ، وأحكم جوانبها بالجبال الرواسى ، وأجرى فيها العيون والأنهار ، وأنبت فيها لزروع والأشجار ، وقدر فيها الأقوات والأرزاق ، وإلى السماء كيف أحكم الله بناءها ، ورفعها بغير عمد نراها ، وإلى الشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذا يغشاها ، وإلى الكواكب فى تألقها وإشراقها ، وهى تسبح فى أفلاكها ومداراتها ، وتسبح بحمد خالقها ومبدعها ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون ، ٣٦ : ٤٠ » أو تدبر قول الله جل جلاله « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » وأخذ يسائل نفسه عن مدى عظم هذه المواقع ، التى أقسم الله بها وأعظم شأن القسم بها ، ويناجيها بجلال خالقها وعظمة صانعها ، إذا هدى الإنسان إلى كل هذه الأنظار أو إلى بعضها ، فحدث بما شئت عما يثمره هذا النظر الروحى ، من نور لعقله وحياة لقلبه ، وتجاوب مع أحاسيسه ومشاعره ، ومعرفة يقينية بجلال الله وعظمته ، وإحاطة علمه وكمال قدرته ، وإيمان راسخ بوحدانية الله فى ألوهيته وربوبيته وكل ذلك ممكن بل واجب أن يكون ، متى حسنت النيات وصلحت القلوب ، وسلمت النفوس من غلبة الجهل وطغيان الهوى ، وتحررت العقول من رق التقليد الأعمى ، واتجهت فى تفكيرها وأحكامها ، الاتجاه الذى يطلب الحق وينشد الكمال ، ويستجيب لوحى الفطرة والوجدان ، ويخضع لسلطان الحجة والبرهان ، ولكن القلوب المليلة ، والبصائر المدخولة ، والأهواء المتحكمة ، هى التى تحجب نور الحقائق الفطرية ، وتكدر صفو المعارف الوجدانية ، وتعكس الحقائق والأوضاع ، وتطمس معالم الحق ، وتوجب اختلال قوانين الفكر وموازين الحكم ، وهى التى اجتالت كثيرا ممن عنوا بدراسة العوالم الكونية وخواصها ، ووقفوا على كثير من نواميسها وأسرارها ، وغفلوا عن عظمة خالقها ومبدعها ، فتنكروا للأديان السماوية والعوالم الغيبية ، بل كلما توسعوا فى الدراسات الكونية والعلوم الطبيعية ، كلما أوغلوا فى مجاهل الإلحاد وإنكار الألوهية والربوبية ، وهم لغرورهم وافتتانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، كما قال تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا » .

وتارة يلفت العقول إلى تفرده تعالى بصفات الألوهية وشئون الربوبية ، وما فى ذلك التفرد من الدلائل القاطعة ، على أنه تعالى هو الله الذى لا إله غيره ولا رب سواه ، وقد قرر القرآن هذه الحقائق فى آيات كثيرة ، وعرضها على العقول فى معرض القضايا التى لا تحتاج إلى أدلة تقام عليها ، لأن لها من دلالة الحس وشهادة الفطرة والوجدان ، ما يقوم فى مواقف الحجاج والإلزام مقام الحجة والبرهان ، كقوله تعالى فى بيان تفرده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالخلق والإيجاد، والتقدير والتدبير: « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » . « ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين » .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض » فالله جل جلاله ، هو الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا معلوما ، ودبر أمره تدبيرا محكما ، وبيده مقاليد السموات والأرض ، بخميع العوامل الكونية قائمة على سنن معينة ، وأنظمة إلهية محكمة ، وكلها سائرة بتدبيره وتصريفه ، وجارية على أحسن الوجوه وأكملها ، وأبدع النظم وأعدلها ، ومشمولة بعين العناية الإلهية التى تلحظ كل شيء فى الوجود ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون» «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين » .

وكقوله تعالى فى بيان تفرده بالملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، والسلطان والقهر ، وعموم الإرادة ونفوذ المشيئة ، « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

فالله جل جلاله ، هو مالك الملك وحده ، وله الخلق والأمر ، وإليه المرجع والمآب يقدر الأمور بعلمه وحكمته ، ويصدرها بإرادته وقدرته ، ويصرفها بتدبيره ومشيئته ، لا يعارضه معارض ، ولا يمانعه ممانع ، إذ ليس معه سبحانه إله يعارضه أو يمانعه كما قال عز شأنه « قل لو كان معه آلهة كما يقولون ، إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » فكل الكائنات فى قبضة قدرته ، وخاضعة لسلطانه وقهره ، وجارية بقضائه وقدره ، ومحكومة بتدبيره ومشيئته ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا يند عن إرادته لمحة خاطر ، أراد فى الأزل وجود هذه المخلوقات ، وقدر لوجودها الحدود والأوقات ، فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى أزله ، وجاءت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى حدودها كما سبق فى علمه ، فيا من فتنتم بعلومكم وفلسفتكم ، ويا من خدعكم التقليد الأعمى فى عقائدكم ، حكموا عقولكم وأفهامكم ، وراجعوا ضمائركم وسرائركم ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون ، ١٠ : ٣٢ » .

هذا ولم تقف عناية الإسلام بأمر التوحيد عند تقرير أصوله وعقائده ، بل حاطه بسياج من الاحتياط فى الاعتقاد ، والتحفظ والاعتدال فى البحث والنظر ، وسد على الوهم والخيال منافذ التشبيه ومسالك الزلل ، فبين أنه تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وتعالت ذاته العلية عن الإحاطة والإدراك ، وتنزهت صفاته القدسية عن المشابهة والمماثلة ، كما فى قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » « ليس كمثله شئ وهو السميع البصير » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . « تفكروا فى مخلوقاته ولا تتفكروا فى ذاته » . فأقصى ما تستطيع العقول إدراكه هو صفاته تعالى وأسماؤه الحسنى ، وغاية ما تدركه الأبصار هو مظاهر هذه الأسماء والصفات ، التى تتجلى فى بدائع الموجودات وروعة الكائنات .

بهذه الحقائق الصادعة بالحق ، والقضايا الناطقة بالصدق ، والدلائل التى تكشف عن القلوب ظلمة الجهل وغمة الشك ، وتبلغ بها النفوس فى المعرفة درجة الرسوخ العلمى والذوق الوجدانى ، وتصعد بها فى الإيمان إلى مرتبة الإذعان النفسى واليقين القلبى ، وبهذا المنهج الاستدلالى القرآنى ، الذى يجعل مجال النظر والفكر سهلا ميسرا ، وطريق الوصول إلى معرفة الله قريبا معبدا ، قرر الإسلام عقائد التوحيد والتنزيه ، وجلاها للعقول فى روعة الحق وجلال الصدق ، وطهر القلوب من أوضار الوثنية والشرك . وحرر الإنسان من رق الأوهام والخرافات ، ورفع شأنه وأعلى مكانته ، وجعله عزيزا كريما فى نفسه ، وعبدا خالصا لربه ، لا يظهر بمظهر العبودية إلا لخالقه ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لله الواحد القهار ﷻ

يس سويلم ط
المفتش بالأزهر

سابق الفرس الى الاسلام

سلمان الفارسي

الفطر السليمة تهتدى إلى الحق بهداية الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، قال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فكل من تجرد عن تأثير البيئات وتلويث ما انحرف من النحل أو الديانات اهتدى إلى الحق وعرف الله صانع هذا الخلق ، وقد كانت الكتب السماوية ولا سيما التوراة والإنجيل قبل أن يحرفهما الذين كفروا من بنى إسرائيل ، تدل على نبينا أصدق دلالة وتنص على الإسلام نصا لا يحتمل خلافا ولا مكابرة ، وكان الذين أوتوا الكتاب كما وصف الله سبحانه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

كان هذان العاملان إذن : (سلامة الفطرة ودلالة الكتب السماوية) مما جمع الله لرجل فارسى ، تتضافر كتب السير والأخبار على ذكر قصته ، بما يبين للناس أن الدين إذا قوى داعيه فى النفوس ، وأن الهداية إذا حلت فى بعض القلوب ، فما وراء ذلك من أهل ومال ووطن إن هو إلا متاع تافه حقير ، لا يملأ فراغ النفس ، ولا يحل عندها محل الإيمان بالرب ، والتعلق به فى كبريائه ومجده ، هاتفة بدعاء الفطرة الخالد وضراعة القدسية الماجدة : « إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » .

كان سلمان الفارسى عبدا من أهل فارس ، أنعم الله عليه وجعله مثلا للمترفين من أبناء الأغنياء ، الذين ربوا فى أحضان النعيم حتى لا يبطرهم الغنى ، ولا يصدهم الترف عن سبيل الحق ، كان أبوه يحبسه فى داره كما تحبس الجوارى ، وعلمه المجوسية فأوغل فيها حتى بلغ مبلغ السادن على النار ، لكنه تلجلج بالفطرة والتمس لنفسه ما هو أولى بالاتباع ، مما اختلف الناس فيه « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . فاذا قيل إن الغنى مطغاة وسبيل مفسدة ، فمعنى ذلك أن النفوس السقيمة تزداد به فسادا ، فأما النفوس السليمة فمحال أن يصدها عن سبيل الله شىء مهما كان فيه من إغراء . إن فى قصة سلمان لعبرة لكل عاقل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتبصرة لكل باحث ، فهو منهوم فى طلب الحق ، زاهد منصرف عما يتنافس فيه الأشقياء من مال أو جاه ، مشفق على نفسه أن يزيغ فى طريق الضلال ، و يتنكب بها عن صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض .

نسب سلمان :

سلمان كما قلنا رجل فارسى سماه الإسلام كذلك (سلمان) وكان اسمه قبل الإسلام (مابه) ابن بودخشان بن مورسلان بن يهبوذان من نسل آب الملك الفارسى ، وكان كما قلنا مجوسيا سادنا للنار ولما أسلم وقيل له انتسب قال : (أنا سلمان ابن الإسلام) ومن شاء أن يقف عند ذلك الجواب وقفة ، فان له أن يجد العبرة من قوة هذه النفس السلمانية الرفيعة ، وعظمتها الخالدة ، وكذلك النفوس الكريمة تسخر بكل اعتبار عرفى ماعدا الحق والحكمة ، وتهزأ بكل معنى دنيوى تتنافس عليه صغار النفوس ، وما كان ضر سلمان لو أنه انتسب حتى انتهى إلى (آب الملك) الفارسى ، وقد كان للملوك من الفرس فى نفوس العرب روعة يجدونها منذ حكمهم على بلادهم وتصريفهم لشئونهم ، ولكن الإسلام الذى محا ضياؤه كل اعتبار ، أشرب نفس سلمان ، وخالط اللحم والدم والعصب فرآه المجد الحقيق ، والشرف الإنسانى ؛ ولهذا هجر به كل ما عداه من مبانى هذه الحياة فهو ابن الإسلام يتأدب بأدبه ، ويأخذ نفسه بمآخذه ويتربى فى أحضانه ، ولا يعرف حياة مع غيره مهما تكن تلك الحياة .

كيف أسلم سلمان :

قصة عجيبة يرويها رجال الأثر ، و ينقلها ابن الأثير ، وغيره من نقلة التراجم و رجال السير بالأسانيد المختلفة تلتقى عند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى سلمان أنه كان رجلا من أهل فارس من أصبهان ، من قرية بها تسمى (جس) وكان أبوه دهقان [١] أرضه ، وأنه كان أحب الخلق إليه وأنه أجلسه فى البيت كالجوارى ، فاجتهد فى المجوسية حتى كان فى النار التى توقد فلا تخبو [٢] ، وأن أباه كان صاحب ضيعة ، وكان له بناء يعالجه فقال له يوما : (يا سلمان قد شغلنى ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلنى بهمى بك) قال سلمان : (فخرجت لذلك فمررت بكنيسة للنصارى وهم يصلون

---

[١] رئيس المزارعين أو رئيس الاقليم . [٢] صرحت بعض الروايات أنه كان سادنا لها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فمكث إليهم، وأعجبنى أمرهم وقلت هذا والله خير من دينى، ثم أقمت عندهم حتى غابت الشمس لا آتى الضيعة ، ولا أرجع إلى أبى، فاستبطأنى و بعث الرسل فى طلبى) ولما عاد سلمان إلى أبيه قص عليه أمره وقال له : إن دين هؤلاء خير من ديننا ، فقال : يا بنى : دينك ودين آبائك خير من دينهم ، وهنا وقفة مع القارئ الكريم نبين فيها كيف سجل أحد هذين الرجلين (الأب وابنه) على نفسه الخيبة والخسران ، والويل والحرمان ، على حين أبى الثانى منهما إلى أن ينجو من ظلمة الكفر ، ويسلم من براثن الطغيان والإثم ، ولو شاء الثانى لكان كالأول ، ولو شاء الأول لكان كالثانى ، ولكنه التقليد وأنكاله ، والتحرر واستقلاله ، فأبو سلمان مكبل فى أنكال التقليد، جامد على ما ترك الآباء من دين ، فهو يأبى أن يفاتح فى أمره أو النظر فيه ، وأما سلمان فإنه رجل يأبى إلا الالتماس للحق وطلبه ، وإلا النظر وتشدان الهدى حيثما كان ، وكذلك الحق والباطل من قديم الزمان ! وهل فرق بين المسلم والكافر ، وميز الحق من الباطل إلا التحرر من القيود ، ولين الجانب لكلمة الحق أينما كانت ، ومع من كانت أو الخروج على ذلك ، وفى القرآن الكريم دراسات سامية ، توضح هذا المعنى وتجليه لمن صفت نفسه ، وفسح أفقه وليس المجال اليوم مجالها فليطلبها من شاء هنالك .

ثم يطرد سلمان فى قصته فيقول : إنه رد على أبيه ما يقول ، فخافه أبوه وقيده حتى لا يتصل بهؤلاء النصارى فيفتنوه عن دينه ، لكنه احتال فاتصل بهم ، وسألهم أن يعلموه إذا أراد أحد أن يسافر إلى الشام التى هى أصل هذا الدين حتى يسافر معه إلى هناك ، فلما أخبروه بالركب المسافرين فك القيد الذى قيده به أبوه وألقاه ، ثم سافر على بركة الله ، وفى بلاد الشام سأل عن عالمها فدل على الأسقف ، فصحبه وأخذ عنه حتى مات ، ثم صحب خليفته وأخذ عنه حتى مات ، ثم سافر إلى الموصل بوصية من الأسقف الثانى ، فقد كان أوصاه أن يذهب إلى أسقف هناك يعلم ذلك الدين ، وهذا الموصلى أوصاه قبل موته برجل من عمورية فبقى معه واتخذ غنيمة و بقرات ، ولما حضرت منيته قال له سلمان أوصنى فقال له : « لا أعلم اليوم أحدا على ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبى يبعث بدين إبراهيم مهاجره (مكان هجرته) بأرض ذات نخل و به آيات وعلامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت فتخلص إليه » .

ولنا هنا أيضا تعليقة نلفت بها نظر القارئ إلى ما عرف من أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الكتابين ومعهم الكهان ، فقد كثر الحديث عنه ولا سيما حين أظل زمنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا غرو فهو شيء كانوا (يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) . « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » .

ذلك حكم الله سبحانه فى قوم من حسدة العلماء اليهود ، يسجل به عليهم بغيهم وحسدهم ، وينعى عليهم تناقضهم واضطراب أخبارهم .

فأما المنصفون منهم ، وأما المنصفون من النصارى ، فقد آمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين ، ومن شاء فليطالع كتب السير ، ليرى كيف اطرد التبشير به من الأحبار والرهبان والكهان .

فأما سلمان فقد حرص على أن يظفر به ، وأن يلزم غرزه ، فما هو إلا أن مر به ركب من العرب فى طريقهم إليه فأغراهم باستصحابه ، بذل لهم ما يملك من غنم وبقر إن حملوه . فأخذوه معهم وباعوه من يهودى بالقرب من المدينة ، وما أظلم الإنسان ! أهذا جزاء الإحسان استرقوه بغير حق ، وباعوه وكانوا ظالمين ! ولكن حسن عند سلمان كل ما يقرب من هذا النبى ويصل بأسبابه ، ثم كان أن بقى سلمان عند اليهودى بفناء يهودى آخر من بنى قريظة فاشتراه وقدم به المدينة فعرفها بصفتها وفرح برؤية نخيلها ، وقوى أمله فى أن يهديه الله إلى النبى المبعوث ! بقى إذا سلمان مع ذلك اليهودى بالمدينة يعمل فى نخل له حتى كان ذات يوم فى رأس نخلة فسمع يهوديا آخر يقول لصاحبه : أى فلان : قاتل الله بنى قيلة (الأوس والخزرج) ! مررت بهم آنفا وهم مجتمعون على رجل منهم من مكة يزعم أنه نبى ! قال سلمان : فما هو إلا أن سمعته حتى أخذ منى القر ، ورجفت بى النخلة حتى كدت أسقط ، ثم نزلت أسأل صاحبى عن الخبر فلكمنى لكمة ، وقال : ما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك ! وقاتل الله الاغتراب والمهانة ، ولكنه صبر المؤمن الذى يجرى وراء أنفس غاية قدرها قدرها واحتمل كل ما يلاقى فى سبيلها ، والعاقبة للتقوى . . . قال سلمان : فلما أمسيت جمعت شيئا فأتيته به وهو بقباء بين أصحابه ، فقلت هذا شيء اجتمع عندى ، أردت أن أتصدق به فبلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحابك ذوو حاجة ، فرأيتكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحق به ووضعته بين يديه، فكف يده وقال لأصحابه : كلوا ، فأكلوا ، فقلت هـذه واحدة ، وأراد سلمان أنه لم يأكل من الصدقة فكان مصداقا لواحدة مما قال الأسقف. قال سلمان : ثم تحول من قباء إلى المدينة، فجمعت له شيئا فأتيته به، فقلت أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة ، فأكل وأكل أصحابه فقلت هاتان اثنتان . ثم أتيته وقد تبع جنازة وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر الخاتم فى ظهره فعلم ما أردت فألقى رداءه فرأيت الخـاتم فقبلته وبكيت ! فأجلسنى بين يديه فحدثته بشأنى كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه، ثم فاتنى معه بدر وأحد بسبب الرق، فقال لى : كاتب ياسلمان عن نفسك [١] قال سلمان فلم أزل بصاحبى (اليهودى) حتى كاتبته على أن أغرس له ثلثمائة ودية[٢] وعلى أربعين أوقية من الذهب ـ وهنا ننبهك إلى أدب الإسلام فى معاملة النـاس ، وإيثار الحسنى وحفظ الحقوق للا خرين ولو كانوا أعداء الإسلام ، فلو شاء النبى صلى الله عليه وسلم لحرر سلمان ولم يبال بهذا اليهودى ولا احترم استرقاقه ، ولاسيما أنه على غير أساس صادق ، لأن سلمان لم يكن رقيقا بموجب شرعى ، ولكنها مسالمة الإسلام والأسوة الحسنة فى رسوله صلوات الله عليه ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك مع سلمان مسلك التعاون الإسلامى واكتتب له من (ودى) إخوانه من الصحابة ، فكان منهم من يعين بالخمس ، ومنهم من يعين بالعشر ، ومنهم غير ذلك ، فلما اجتمع له ما طلب صاحبه من النخل قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « نقروها يا سلمان ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيدى » . فوضعها النبى صلى الله عليه وسلم كلها فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها واحدة . وانظر أيها القارئ إلى ذلك السمو فى التواضع النبوى والنفس الرضية الزكية نفعنى الله وإياك باتباعها ، ولـكن بقى الذهب على سلمـان فهل يتركه النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ؟.

كلا : لم يتركه صلوات الله وسلامه عليه، ولكنه انتظر فرصة لإتمام مهمة سلمان . فبينما هو قاعد إذ أتاه أحد أصحابه بمثل البيضة من ذهب ، فقال ادع سلمان المسكين الفارسى

---

[١] المكاتبة فى الاسلام أن يشترى العبد نفسه من سيده بمال حال أو مقسط ، وهى مندوبة فى الاسلام، ويرى بعض الأئمة وجوبها وذلك لشدة حرص الاسلام على حرية الناس، وقد جعل الله للمكاتب نصيبا مفروضا من مال الصدقة فى قوله سبحانه « إنما الصدقات للفقراء . . . وفى الرقاب الآية » .
وراجع كتاب الوحى المحمدى للسيد رشيد رضا ص ٢٦٤ .

[٢] هى النخلة الصغيرة تنقل من مكانها لتغرس فى غيره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المكاتب فقال : أدهذه ففلت : يارسول الله : وأية تقع هذه مما على ؟ ولكن الله باركها فأدت عن سلمان ونجا من الرق ، وخلص لله وحده ولدعوة الحق ، فكان أول مشاهده غزوة الخندق وقطع علاقته بما سوى الله ورسوله ، واندمج فى خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله . أفهذا أم ضياع بوذ خشان وعقاره ؟ وما يغنى عنه ماله إذا تردى ؟ .

منزلة سلمان وأثره فى الإسلام :

أسلم سلمان فى السنة الأولى من الهجرة ، وهو فى سن كبيرة حتى قيل إنه من المعمرين قد حنكته الأيام وأحكمته التجارب ، وتعاقبت عليه الدول فأخذ الإسلام بقوة عجيبة ، وأخلص له إخلاصا يعادل قوة رغبته ، وتهالكه عليه وتضحياته التى مرت بك ، فمض عليه بالنواجذ وضم معارفه إلى ما أخذ من قبل ، وكان أول موقف له مشهود فى أول غزوة شهدها وهى غزوة الأحزاب التى حزب فيها اليهود قبائل العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما غاظهم أمرهم واستحكم بينهم دين المسلمين ، وقويت شوكتهم ، وصادف ذلك هوى من العرب ولا سيما قريش ، فأجمعوا أمرهم على أن يفنوهم وينقضوا عليهم من داخل المدينة وخارجها ، وكان الخطر الداهم والبلاء اللازم . لولا فكرة هذا الفارسى ومكيدته لدعوة الحق ، نعم إنها هى التى أنقذت الإسلام ضمن الأسباب الكونية والجنود الخفية التى ينصر الله بها عباده المرسلين ليبلغ أمره . قد جعل الله لكل شىء قدرا .

أشار سلمان بحفر الخندق فى شمال المدينة ، وكانت الجهات الأخرى محصنة بالجبال والنخيل والأبنية . وكان موقفا أعجب به المسلمون جميعا فتنازع كل من الأنصار والمهاجرين سلمان كل يقول : « سلمان منا » فتوجه النبى صلى الله عليه وسلم بهذا التاج الذى يكافئ ما قدم للاسلام من تضحيات ، وما حفظ للمدينة فى أهلها وما تضم من عصابة الإسلام ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » وهى قضية جديرة أن تكون عامة لكل من تمسك بهذا الدين ، فآل النبى كل تقى ، من أطاع الله فهو من النبى ، ومن عصاه فليس منه ، ولو كان منه « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ولكن مزية سلمان ما سجل لشخصه بالنص عليه ، ولا سيما بعد أن تنازعه طائفتان من المسلمين كل تدعيه لنفسها ، وقد كان من آثار ذلك الخندق الجليلة أن طول أمد الحصار على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوم المعتدين ، وهم فى اغتراب عن أوطانهم ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وكان ما فصله سبحانه فى سورة الأحزاب . ورجع الكفار بخيبة الأمل وقد خسروا ما خسروا من مال وعتاد ورجال ، ثم لم يفكروا فى غزو المدينة بعد ذلك الخندق الذى منع المدينة وحصنها تحصينا جعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » .

ثم لم يتخلف سلمان عن مشهد بعد الخندق ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى الدرداء [١] ، وقد أقاما بالمدينة فى مدرسة النبوة يأخذان العلم والحكمة ، ثم تقلبت بهما الأحوال بعد ذلك بما لا يفصله التاريخ ، ولكنهم يقولون : إن سلمان كان أميرا على المدائن فى عهد عمر بن الخطاب فلعله اتصل هنالك بموطنه الأول فقضى حقه بالدعوة إلى الله التى أخذت عليه كل شىء وزهدته فى كل شىء ، وقالوا إنه كان يرى هنالك (بالمدائن) وهو فى أشد مظاهر التقشف والزهد فى الدنيا ، وأنه كان يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير ويركب الحمار بلا إكاف .

رحم الله سلمان : لقد كان من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كان من زهادهم وفضلائهم كما كان أخوه أبو الدرداء . وكان من الصف الأول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى عن عائشة رضى الله عنها كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يغلبنا عليه ، فما ظنك برجل يريد أن يغلب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ما ظنك برجل يشهد له علىّ بن أبى طالب فيقول فيما يرويه ابن الأثير فى أسد الغابة قال : سئل علىّ عن سلمان فقال : علم العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر زاخر ، وهو منا أهل البيت .

ونقل ابن الأثير أنه سكن العراق وأن أخاه أبا الدرداء سكن الشام فكتب أبو الدرداء إلى سلمان يقول :

سلام عليك : أما بعد ، فقد رزقنى الله بعدك مالا وولدا ، وسكنت الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان يقول :

---

[١] عويمر بن عامر الأنصارى الخزرجى كان من أفاضل الصحابة وعلمائهم وحكمائهم ، روى عنه أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين تأخر إسلامه فلم يشهد بدرا ، وشهد أحدا وغيرها من المشاهد ، توفى بدمشق سنة ٣٢٠ هـ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سلام عليكم . أما بعد : فانك كتبت إلى أن الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك ؛ وكتبت إلى أنك نزلت الأرض المقدسة ، وإن الأرض لا تعمل لأحد . إعمل كأنك ترى . واعدد نفسك من الموتى :

وكان عطاؤه خمسة آلاف فاذا خرج عطاؤه فرقه وأكل من كسب يده ، وكان عمله سف الخوص (سف الخوص ندجه) هكذا كان مذهب سلمان ، وهكذا انتهى علم سلمان وحكمته إلى احتقار الدنيا وتهذيب النفس ، وإتقان العمل ، وتقصير الأمل ، وهكذا يكون المؤمن العارف المتحقق .

وتوفى سلمان فى خلافة عمر وزعموا أنه عمر إلى ثلثمائة وخمسين سنة ، قال العباس ابن يزيد : قال أهل العلم : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ؛ فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه . ولكن ليت شعرى ، هل كان أبوه من المعمرين فقد رأيت أنه فارقه وقد أظله زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

ثم ذكروا أنه خلف ثلاث بنات واحدة بأصبهان ، واثنتين بمصر ، ولم يذكروا لنا ما أقامهما بمصر ، أذهب سلمان بهما إلى هنالك ؟ أم لعلهما تزوجتا فكان زوجاهما بمصر!

هذا ما استطعنا أن نظفر به من أمر سلمان فى مراجعه مما يعنى القارئ وينفعه ، رحم الله سلمان وجعل لنا فى ذكرى الصالحين خير عبرة ؛

محمود النواوى

« استدراك »

فى الجزء الماضى

السطر ١٢ من صفحة ٥٩٥ (الصواب) : « ويتبع غير سبيل المؤمنين ... الخ الآية الكريمة » .

السطر ٢٢ من نفس الصفحة (الصواب) : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ... الخ الآية الكريمة » .

[ما عدا ما بين الآيتين الكريمتين ، نترك تصويبه لفطنة القارىء الكريم] .

شيخ الأزهر السابق :

السيد محمد الخضر حسين

١٢٩٣ — ١٣ رجب ١٣٧٧

هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

إن الاستقامة على طريق الله بعلم وحزم وحكمة ويقين هى الولاية ، فإذا تعارضت مصلحة الدين ومصلحة الدنيا أمام الرجل المسلم ، فآثر مصلحة الدين على مصلحة الدنيا ، ومضى على ذلك فى تصرفاته كلها مدى الحياة ، فهو من أولياء الله ، أى من أنصاره . والولاية هى النصرة ، وقد جرت سنة الله أن يأخذ بأيدى أوليائه وينصرهم ما نصروا دعوته وسنته فى الأرض . وهذه المرتبة فى متناول يد كل من رامها من شبابنا وكهولنا وشيوخنا إذا آلى أن يجعلها وجهته فى مراحل الحياة . وسأتحدث فى هذه الصفحات إلى إخوانى من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم عن مراحل حياة هـذا الرجل المؤمن بالإسلام كما راقبتها فيه أو علمتها منه من سنة ١٣٣٠ إلى أن اختاره الله إليه .

ولد السيد محمد الخضر حسين عام ١٢٩٣ فى بلدة نفطة من بلاد الجريد فى الوطن التونسى . وأبوه من أسرة شريفة أصلها من الجزائر ، وقد حدثنى قبل ولايته مشيخة الأزهر عن ظهير من أحد ملوك المغرب الأدارسة إلى جد من جدود الشيخ يتعلق بنسبهم . وأرجو ممن صارت إليهم أوراقه أن يعنوا بما فيها من أمثال ذلك ليستعان بها فى تدوين سيرته ، وإرسال شعاع من نور على الأزمان التى عاشها فى مراحل حياته .

وكانت أمه من صالحات النساء ، وله فيها قصيدة (بكاء على قبر) لما بلغه خبر وفاتها سنة ١٣٣٥ . وكان أبوها الشيخ مصطفى بن عزوز من أهل العلم والفضل ، له ترجمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى تاريخ الوزير أحمد بن أبى الضياف ، وأبو جده لأمه محمد بن عزوز من الأفاضل أيضا وله ترجمة فى كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للشيخ الحفناوى بن عروس . وخاله السيد محمد المكى بن عزوز من كبار العلماء الصالحين ، وكان موضع الإجلال والاحترام من رجال الدولة العثمانية فى العهد الحميدى ، وقضى الشطر الأخير من حياته فى الآستانة برغبة من السلطان ، وله مؤلفات معروفة . ولفقيدنا قصيدة فى تأبينه ووصفه لمناسبة وفاته سنة ١٣٣٤ أثبتها فى ص ١٨٠ من ديوانه فى طبعته الثانية .

وفى سنة ١٣٠٥ انتقلت أسرتهم من نفطة إلى العاصمة التونسية ، وكان فقيدنا فى الثانية عشرة من حياته ، وقد تأدب قبل ذلك بأدب الإسلام ، وتلقى كتاب الله ومبادئ العلوم الشرعية والعربية . فلما نزلوا تونس التحق بجامعها الأعظم (جامع الزيتونة) ، وأخذ يتنقل فى مراحل التعليم ، وكان من أبرز شيوخه العلامة الكبير الشيخ سالم بو حاجب المتوفى سنة ١٣٣٩ رحمه الله . ولفقيدنا أبيات فى وصفه ورثائه هى فى ديوانه (ص ١٠١).

وحوالى سنة ١٣٢٠ حصل على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ، وما لبث أن أصدر مجلة (السعادة العظمى) ، وأخذ يساهم فى النهضة العلمية والأدبية ، ويبارى رجالها لإحراز قصبات السبق طمعا فى مرضاة الله . وفى ديوانه (ص ٧٣) قصيدة نظمها فى هذه الحقبة انطوت على روح الدعوة التى أنشأ هذه المجلة للقيام بها .

وفى سنة ١٣٢٤ تولى قضاء بلدة بنزرت ومنطقتها .

وفى مساء ١٧ ربيع الآخر من تلك السنة ألقى محاضرة عنوانها (الحرية فى الإسلام) فى نادى قدماء خريجى المدرسة الصادقية بلغت ٦٤ صفحة ، ودلت على نزعته المبكرة إلى الحرية ، وفهمه السليم لرسالة الإسلام من هذه الناحية .

ولم تطل مدة ولايته القضاء ، لأن الجمع بينه وبين انطلاقه الفكرى فى بلد محتل بالاستعمار الملعون كان محاولة للجمع بين الضدين ، لذلك رأيناه فى سنة ١٣٢٧ عاد مدرسا فى جامع الزيتونة ، ولعله فارق القضاء قبل تدريسه فى الزيتونة فتولى التدريس قبل ذلك فى المدرسة الصادقية ، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة فى الوطن التونسى كله .

وفى مساء السبت ١١ شوال سنة ١٣٢٧ ألقى فى نادى الجمعية الخلدونية بتونس محاضرة عنوانها (حياة اللغة العربية) تحدث فيها عن أطوار هذه اللغة ، وفصاحة مفرداتها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحكمة تراكيبها ، وتعدد أساليبها ، وما تفردت به من إعجاز الإيجاز ، وبدائع التشبيه ، وارتقاء مستوى اللغة بارتقاء التمدن العربى . وتحدث عن العامية والعربية والفصحى .

وفى ديوانه (ص ٢٣) قصيدة نظمها سنة ١٣٢٨ بعد ولايته القضاء والتدريس يوجه بها أنظار القائمين على جامع الزيتونة إلى ضرورة العناية بتدريس الإنشاء وتمرين الزيتونيين عليه ليكون للوطن من علماء هذا المعهد الإسلامى كتاب بارعون يؤدون مهمة الدعوة ويقودون الأمة إلى أهدافها .

وفى تلك السنة مرت بتونس بعثة الهلال الأحمر العثمانى قاصدة طرابلس الغرب بعد حملة البغى الإيطالى عليها ، فنظم قصيدة يدعو فيها إلى معونة هذه البعثة وإعانتها (وهى فى الديوان ص ٣٣) .

وفى السنة التالية (١٣٢٩) وجهت إليه التهمة ببث روح العداء للغرب ولا سيما سلطة الحماية الفرنسية ، فسافر إلى الآستانة متذرعا بزيارة خاله السيد محمد المكى ابن عزوز ، ولما ظن أن الزوبعة هدأت عاد إلى تونس بطريق نابولى (انظر ديوانه ص ١١٥ و ١٦٤) ، ولما استقر به المقام رأى أنه لن يطيق البقاء فى ذلك الجو الخانق ، فأزمع الهجرة منه نهائيا ، ووقع اختياره على دمشق ليتخذها وطنا ثانيا له ، وقد مر بنا فى مصر فى هذه المرة (سنة ١٣٣٠) وسعدت بالتعرف به ، واجتمع عندى بشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى وأحمد تيمور باشا والسيد رشيد رضا وأضرابهم ، وكنت وقتئذ أعمل فى قلم تحرير المؤيد .

ولما وصل إلى دمشق كانت الحركة العربية فى بدايتها ، وكانت الأمة تطالب الحكومة العثمانية باعطاء اللغة العربية حقها من التعليم فى المدارس الرسمية ، فعين السيد محمد الخضر حسين مدرسا للعربية فى المدرسة السلطانية بدمشق ، وكانت سكة الحجاز الحديدية متصلة فيما بين دمشق والمدينة المنورة فزار المسجد النبوى سنة ١٣٣١ ، وله فى هذه الزيارة قصيدة فى الديوان (ص ١٠٦) .

وفى هذه الفترة زار تونس ، وفى ديوانه من ذكريات هذه الزيارة أبيات فى ص ١٢٦ و ١٣٤ .

وذهب فى هذه المدة إلى الآستانة ولقى وزير حربيتها أنور باشا ، واختير الشيخ محررا عربيا فى وزارة الحربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان فى هـذه الحقبة قد عرف دخيلة الحال فى الدولة ، وأصيب بخيبة أمل بين ما كان يتصوره بعين الخيال و بين مارآه بعين الحقيقة ، فنظم فى سنة ١٣٣٢ أبياتا بعنوان « بكاء على مجد ضائع » تجدها فى ديوانه ص ٦١ ومنها :

أدمى فؤادى أن أرى الـ ... أقلام ترسـف فى قيود
فهجرت قوما كنت فى ... أنظـارهم بيت القصيد
وحسبت هـذا الشرق لم ... يبرح على عهد الرشـيد
فاذا المجـال كأنه ... من ضيقه خلق الوليـد

وفى سنة ١٣٣٣ أرسله أنور باشا إلى برلين بمهمة رسمية فقضى فى ألمـانيا تسعة أشهر اجتهد فى خلالها أن يتعلم الألمـانية . وفى ديوانه قطع كثيرة ممـا نظمه هناك . ومن ذلك أنه كان فى قطـار بضواحى برلين يرافقـه مدير الأمور الشرقية بوزارة الخـارجية الألمـانية ، وكان يتحدث مع شاب ألمـانى باللغة الألمـانية ، ثم أقبل مدير الأمور الشرقية على الشيخ وقال له : أليس هكذا يقول ابن خلدون إن العرب أبعد الناس عن السياسة ؟ فنظم الشيخ فى هذه الحادثة أبياتا يقول فيها :

عذيرى من فتى أزرى بقومى ... وفى الأهواء ما يلد الهـذاء
سلوا التـاريخ عن حكم تملت ... رعاياه العـدالة والرخاء
هو الفـاروق لم يدرك مداه ... أمـير هز فى الدنيـا لواء

وأدركه عيد الفطر فى برلين ، فقال :

يوم عيـد وما تفتق كم ... عن أنيس ولا كسم الخياط
أين جيراننا وأين المصـلى ... وخطيب يهدى لخير صراط
لو تقاضيت فى اغترابى أمرا ... نهضت همتى له ونشاطى
لأدرت العنان نحو دمشق ... وحمدت السرى على الأشواط

وعاد إلى الآستانة ، فوجد أن خاله الشيخ المكى بن عزوز قد توفى بها قبل قدومه بنحو شهرين ، فرثاه بمـا فى الديوان (ص ١٨٠) ؛ ثم ضاقت به العاصمة العثمانية على سعتها ، وصرفه عنها وعن عظمتها يومئذ ما كان يشعر به من الشوق إلى دمشق ، حتى تمكن من الوصول إليها والاستقرار فيها . غـير أنه ما لبث أن ناله شواظ من شرور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السفاح الجنكيزى أحمد جمال باشا الذى لم يسلم فاضل من شره ، فاعتقل فى رمضان سنة ١٣٣٤ وكان فى زنزانة واحدة هو والأستاذ سعدى بك الملا ، الذى تولى رياسة الوزراء اللبنانية بين الحربين العالميتين ، وكانت جريرة سعدى بك الملا أنه كان سكرتيرا لشكرى باشا الأيوبى من كبار رجال الجيش العثمانى الذين أنجبتهم الشام ، أما شكرى باشا فكان تحت التعذيب الأليم الذى يذكر الناس بديوان التفتيش الكاثوليكى فى إسبانيا ، ومن شعر السيد محمد الخضر حسين فى هذا الاعتقال :

جرى سمر يوم اعتقلنا بفندق ضحانا به ليل ، وسامرنا رمس
فقال رفيق فى شقا الحبس : إن فى الـ ـحضارة أنسا لايقاس به أنس
فقلت له : فضل البداوة راجح وحسبك أن البدو ليس به حبس

وأكبر ظنى أنه كان لأنور باشا دخل فى إنقاذ شيخنا من قبضة جمال باشا ، فما كاد يفرج عنه ويخرج حتى أزمع السفر إلى الآستانة ، وما كاد القطار يسير به حتى قال (وهى فى الديوان ص ١٢٦) :

أردد أنفاسا كذات الوقود إذ رمتنى من البين المشت رواشق
وما أنت مثلى يا قطار وإن نأى بك السير تغشى بـلدة وتفارق
فما لك تلقى زفرة بعد زفرة وشملك إذ تطوى الفلا متناسق

ولما بلغ الآستانة أوفده أنور باشا سنة ١٣٣٥ للمرة الثانية إلى ألمانيا ، فقضى فيها زمنا طويلا ، وعاد إلى الآستانة ، ثم إلى دمشق ؛ فتولى التدريس بالمدرسة السلطانية مرة أخرى بقية سنة ١٣٣٥ ثم فى سنة ١٣٣٦ ، وفى هذه المدة شرع فى دراسة كتاب (مغنى اللبيب) فى علم العربية لجمال الدين ابن هشام (٧٠٦ — ٧٦١) بحضر جماعة من أذكياء طلاب العلم بدمشق ، وكان يرجع فى تقرير المسائل المتصلة بالسماع والقياس إلى تلك الأصول المقررة والمستنبطة ، فاقترح عليه أولو الجد من الطلبة جمع هذه الأصول المتفرقة ليكونوا على بينة منها ساعة المطالعة ، فألف مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه وتدل على مواقعه وأحكامه ، ومن هذه المقالات تألفت رسالة (القياس فى اللغة العربية) التى أعاد عليها نظره بمصر ، ونال بها عضوية جماعة كبار العلماء ؛ وقمنا بطبعها سنة ١٣٥٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى سنة ١٣٣٧ ذهب إلى الآستانة ، وكانت الحرب العالمية الأولى فى نهاياتها ، والحالة فى دولة الاتحاد والترقى مؤذنة بالزوال ، فتوجه إلى ألمانيا ، وقضى هناك سبعة أشهر ؛ وكانت عودته منها فى هذه المرة إلى دمشق رأسا وهو يقول (الديوان ص ٢٠٠) :

سمّت ، وما سمّت سوى مقامى ... بدار لا يروج بها بيانى
فأزمعت الرحيل ، وفرط شوقى ... إلى بردى تحكم فى عنانى
هلم حقيبتى لأحط رحلى ... فنفح زهور جلق فى تدانى

ووافقت عودة الشيخ إلى دمشق دخول الجيش العربى وولاية فيصل بن الحسين على سوريا ، وفيها اجتمعت بالشيخ مرة أخرى بعد عودتى من الحجاز لأتولى الجريدة الرسمية للحكومة السورية ، وكنت أقوم بتأسيس المعهد العلمى ، وأدير اللجنة الوطنية العليا مع المجاهد الكبير العلامة الشيخ كامل القصاب رحمه الله ، فكنت ألقى الشيخ الفقيد مرارا ، ومن شعره يومئذ متضجرا من كثرة أسفاره السابقة ، وممتنيا الاستقرار فى دمشق المدينة التى أحبها ، والأبيات فى الديوان (ص ٤١) :

أنا كأس الكريم والأرض ناد ... والمطايا تطوف بى كالسقاة
كم كئوس هوت إلى الأرض صرعى ... بين كف تديرها واللهاة
فاسمحى يا حياة بى لبخيل ... جفن ساقيه طافح بسبات

وأراد الله أن يقع الاحتلال الفرنسى ، فعدت أنا إلى مصر على الإبل بزى أعرابى ، وبقى الشيخ فى دمشق على أمل أن يعود إلى تونس فيكمل حياته فيها ، ولكن الله أراد له اللحاق بنا إلى مصر فى العام التالى (١٣٣٩) . وله فى ذلك موشحة لطيفة فى الديوان (ص ١٤٥) وقال عند سفره من دمشق (الديوان ص ١٦٠) :

كأنى دينار وجلق راحة ... تنافس فى الإنفاق راحة حاتم
فكم سمحت بى للرحيل ، وليتنى ... ضربت بها الأوتاد ضربة لازم

وفى مصر أخذ يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس . وفى سنة ١٣٤٠ ألف رسالته (الخيال فى الشعر العربى) . وبعدئذ كسبته دار الكتب المصرية فالتحق بقسمها الأدبى عدة سنين ، ثم تجنس بالجنسية المصرية ، وتقدم للامتحان فى الأزهر فقام على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

امتحانه لجنة برآسة العلامة الشيخ عبد المجيد اللبـان ، وكانت اللجنة كلما اكتشفت آفاق علمه زادت فى التعمق بمناقشته واستخراج كنوز فضله ، وأصبح بعدئذ من أكمل أساتذة هذا الصرح العلمى العظيم فى عصور الإسلام الطويلة ، وإن تلاميذ الشيخ صاروا فحول العلماء وأطواد التحقيق فى الشريعة وعـلوم العربية . وإن كثيرين منهم كانوا يرغبون فى القيام بواجب الـكتابة عن فضله وأياديه الـكريمة فى التحقيق وتخريج الرجال ، فلمـا علموا أنى ما كتب عنه تخلوا لى ـ حفظهم الله ـ عن هذه المهمة لمـا يعلمونه من طول خلطتى به وقديم صداقتنا التى أعتز بها وطالمـا أفدت منها .

وفى سنة ١٣٤٢ أسس (جمعية تعاون جاليات إفريقية الشمالية) وسن لهـا قانونا قمت أنا بطبعه .

وفى سنة ١٣٤٣ مرض مرضا شديدا ردد صداه فى شعره (الديوان ٢٦) ومنه :

أطل على الموت من خلل الفنـا ... فآنست وجه الموت غـير كئيب
ولو جس أحشائى لحلت بنانه ... وإن هال أقواما بنان طبيب
فلا كان من عيش أرى فيه أمتى ... تماس بكفى غاشم وغريب

وفى سنة ١٣٤٤ ظهر كتاب (الإسلام وأصول الحـكم) ، وكان السيد محمد الخضر صديقا حميما لآل عبـد الرازق ويزورهم ويسر بلقائهم ، فلما كاد الكتاب ينتهى طبعه ، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه ، طلبوا منه أن يمدهم بعناوين كبار العالم العربى والإسلامى ليهدوا الكتاب إليهم ، فطلب الشيخ هذه العناوين منى ، وكتبت له بهـا قائمة طويلة ، ثم صـدر الكتاب وأهدوا نسخة منـه إلى الشيخ ونسخة أخرى لمجلة الزهراء التى كنت أصـدرها ، فراعنا من الكتاب أنه ينكر كون الإسلام دين حكم ، فانتقدته أنا فى مجلة الزهراء ، وكتب الشيخ على مقالة افتتاحية فى جريدة السياسة يجيب بها على نقدى ، وتفرغ فقيدنا لنقض الكتاب فقرة فقرة ، وفى أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفى شهر واحد نفدت طبعته لشدة الإقبال عليها .

وفى السنة التالية (١٣٤٥) افتضحت رسالة (فى الشعر الجاهلى) فعكف الشيخ على نقض كل مافيها من باطل ، وصدر كتاب (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) وبقيت بقية من آخر أقلام استعملها فى تأليفه ، فأهداها إلى خزانة العلامة أحمد تيمور باشا ، وكتب أبياتا فى بطاقة ربطها ببقية القلم (وهى فى الديوان ص ٨١) وهى :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سفكت دمى فى الطرس أنمل كاتب ... وطوتنى المبراة إلا ما ترى
ناضلت عن حق يحاول ذو هوى ... تصويره للناس شيئا منكرا
لا تضربوا وجه الثرى ببقية ... منى كما ترمى النواة وتزدرى
فخزانة الأستاذ تيمور ازدهت ... بحلى من العرفان تبهر منظرا
فأنا الشهيد وتلك جنات الهدى ... لا أبتغى بسوى ذراها مظهرا

وفى سنة ١٣٤٦ أسسنا المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان الفقيد مع تيمور باشا رحمهما الله ركنين ركينين فى تأسيسه ، وقد عبئت لذلك يومئذ كل شخصيات المناصرة للاسلام من شباب وكهول ، فكان تأسيس تلك الجمعية نقطة تحول بين تيار العداء للاسلام باسم التجديد ، وبين قيام كيان مرموق للاسلام فى وادى النيل .

ولما تم النجاح فى هذا العمل الحميد ، تفرغ فقيدنا لتأسيس جمعية الهداية الإسلامية فضمت أهل الغيرة والنشاط من شباب الأزهر وشيوخه ، ومن نهج منهجهم من المثقفين ثقافة مدنية . وكما صدرت لجمعية الشبان مجلة صدرت لجمعية الهداية مجلة . وكما قامت لجمعية الشبان فروع فى الأقطار قامت للهداية فروع مثلها .

وفى محرم سنة ١٣٤٩ صدرت مجلتنا هذه (الأزهر) وكان عنوانها يومئذ (نور الإسلام) فتولى فقيدنا رياسة تحريرها من جزئها الأول إلى ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ ، وفى سنة ١٣٥٠ عاوده مرض مزعج أثار فيه خواطر شعرية تراها فى ص ٤٢ من ديوانه .

وواصل - رحمه الله - السنين المباركة فى حياته بعد ذلك فى التدريس بكلية أصول الدين على طريقة العلماء الأقدمين فى التحقيق ، والرجوع بقضايا العلم إلى أصولها ، والغوص فى أعماقها . ويقضى الليالى فى محاضرة جماهير الشباب وأهل الفضل بدار جمعية الهداية الإسلامية داعيا إلى تجديد حيوية الإسلام فى نفوس أهله ، وتقرير حقائقه بأساليب بليغة كانت موضع الحرمة والتقدير من جميع الطبقات ، وقد نشر بعضها مستقلا أو على صفحات مجلة الهداية الإسلامية ، ثم جمع الكثير منه فى كتابه (رسائل الإصلاح) الذى طبع فى ثلاثة أجزاء .

وعند ما أسس المجمع اللغوى كان من أقدم أعضائه ، وله فيه بحوث وقصائد ودفاع عن الفصحى ، وتبيان لأسرارها وعرض لجواهرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما زال مستمرا فى التأليف والخطابة والوعظ فى الهداية الإسلامية والتدريس فى الحلقات العليا بالأزهر . وفى سنة ١٣٦٦ صدرت مجلة لواء الإسلام ، وعهد إليه برياسة تحريرها ، وظل يواصلها ببحوثه إلى آخر حياته المباركة .

وفى سنة ١٣٧٠ نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالة (القياس فى اللغة العربية) التى ألف أصلها وهو فى دمشق أيام الحرب العالمية الأولى .

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة ١٣٧١ (١٦ سبتمبر ١٩٥٢) خرج من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ثلاثة من أعضاء ذلك المجلس فتوجهوا إلى المنزل الذى كان يسكنه الشيخ فى شارع خيرت ، وعرضوا عليه مشيخة الجامع الأزهر باسم حكومة الثورة ، وجاء الشيخ إلى مشيخة الأزهر وللأزهر فى ذهنه رسالة يتمنى لو اضطلع بها الأزهر ليتم له بها حمل أمانة الإسلام .

وكان هذا الاختيار تحقيقا للأخوة الإسلامية فى الدستور الإسلامى ، وبرهانا من الله عز وجل على أن من كان مع الله كان الله معه ، وعلى أن من عاش يؤثر الآجلة على العاجلة عند اختلافهما فان الله يكافئه بخير مما يطمع فيه الذين يؤثرون العاجلة على الآجلة .

ولما أضعفته الشيخوخة عن مواصلة الاضطلاع بحمل هذه الأمانة عاد إلى منزله يواصل العكوف على الكتب والكتابة والتفكير ، حتى لقد نظم ديوانا آخر كله مقطعات فى الحكمة والخواطر التى تحوم حول الحق والخير .

وفى يوم ١٣ رجب مساء اختاره الله إليه وهو لا يزال على عهده الأول من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فكان جديرا بما وعد الله به أمثاله أن تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . وفى ظهر اليوم التالى صلى عليه بعد الفريضة فى الجامع الأزهر ، ومشى فى موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة والمنتسبون إلى العلم حتى بلغ النعش باب الخلق والموكب متصل فيما بينه وبين الأزهر ، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه ، رحمهما الله وصالحى المسلمين وتغمدهم برحمته .

محب الدين الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رجـــــل عظيم

و يزيده عظما وقدرا أنه يعرف قدر العظيم

ما كنت أحسب وأنا أنعى إليه شيخنا و إمامنا الراحل ؛ وقد أسلم الروح إلى بارئها ، إلا أنه يجاملني بكلمة عزاء تمر كما يمر غيرها من الـكلم . . ولـكن ما كان أعظم دهشتي حينما فزع واسترجع ! ثم أخذ يلقي عليّ درسا في تقدير العظماء الراحلين : درسا خليقا بأن يسجل و يروى في تاريخ الخالدين .

كانت بين الشيخين خصومة في بعض مسائل العـلم ، ولـكنها كانت خصومة نبيلة كريمة ، من قبيل « الخصومة بين الأكابر » تلك التي سجلنا نماذج من طرازها الأول في المجلد الخامس والعشرين .

وكان من أدب فقيدنا الراحل ـ تغمده الله برحمته ـ أن يسجل مسائل الخلاف بينه و بين خصمه في مقال أو رسالة ، ثم يأتي عليها بالحجة الساطعة والبيان الناصع ، في أمانة من النقل ، وعفة من القول ، هما المثل الأعلى لمن يبتغي الإنصاف والحق ، من أعدل طريق وأمثله .

* * *

و يقرأ خصمه الرد عليهم في مقالاته وكتبه ، وكلهم أو جلهم من علية القوم وأكابر الـكتاب ، فيعجبون للأدب الرشيد والقول السديد ، والحجة البالغة ، والعلم المصفى ، والحـكم البصير النافذ ، الذي يتقدمه الإخلاص والإيمان ، و يصحبه العدل والإحسان ، فيخشع له كل عالم وأريب ، و يهابه كل دفع أو تعقيب !

* * *

لـكن النبلاء من خصمه ، يفيدون من ذلك النبع الفياض ، والأدب العـالي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الرفيع ، ثم ينوهون به فى حياته ، ويدعون إلى التخلق به بعد وفاته ، وكذلك فعل « الرجل العظيم » .

كانا عضوين بالمجمع اللغوى إلا أن « إمامنا » كان أسبق ، إذ كان ركنا من أركان المجمع منذ أنشئ ، وكانا عضوين فى جماعة كبار العلماء ، إلا أن « عظيمنا » كان أسبق منذ بضع سنين . . .

فلما تقدم إمامنا إلى عضوية الجماعة ، ظن من لا يعرفون « الرجل » أن الفرصة قد هيئت للوقوف فى طريق خصمه . . . لكنها كانت مفاجأة كريمة حاسمة ، أن زكاه الخصم النبيل وهو يقول : إن من لا يزكى السيد الخضر فى عضوية الجماعة ، فانما يلغى عقله ، أو يسقط نفسه ، أو قال كلمة نحوها ! !

فلما قضى الله قضاءه ، واستأثر شيخنا برحمته ، هزنى « الرجل » بكلماته هزا وهو يدعو إلى التأسى به ، حتى كأن المسرة كانت ترتجف من هول ما أصابه ، أو من عظمة ما يقول ! !

* * *

أما بعد ، فان أهمك أن تعرف « الرجل » فحسبك أنه يشغل مركزا اجتماعيا خطيرا ما خلا منصبا أزهريا كبيرا ، فان لم تعرفه بعد ذلك ، فحسبك درس عظيم ، من رجل عظيم ، فى إمام كريم ، عاش فى الله ، وجاهد فى الله ، ثم مات فى الله ، ورحل - باذن الله - إلى الرفيق الأعلى « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

طه محمد الساكت

الجمهورية العربية المتحدة

وليدة إرادة الشعب العربى

إن الجمهورية العربية المتحدة وليدة إرادة الشعب فى كل من مصر وسوريا ، ولذلك فان من الطبيعى أن تعم الفرحة ، ويسود الابتهاج أرجاء البلاد العربية عامة ، لأن الجميع يشعرون ويؤمنون بأن هذه الجمهورية تمثل رغباتهم وأمانيهم ، وتحقق حلمهم الذى طالما حنوا إليه .

رشيد كرامى

رئيس وزراء لبنان الأسبق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قيام الجمهورية العربية المتحدة

وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها

فضيلة الأستاذ الأكبر يهنئ السيد الرئيس جمال عبد الناصر
برئاسة الجمهورية العربية المتحدة

يطيب لى اليوم أن أهنئ سيادتكم باجماع الشعب على تأييد قرار الوحدة وعلى اختياركم أول رئيس للجمورية المتحدة .

والأزهريون وهم جند العروبة المخلصون يفاخرون بتحقيق هذه الأمنية العزيزة ، ويعتزون بقائدهم الذى اجتمعت له القلوب بالمحبة والتأييد، لما له من أصالة الرأى وصدق الوطنية وكمال الإخلاص للواجب ، والتفانى فى خدمة العروبة .

سدد الله خطاكم ، وجمع قلوب العرب على كلمة الحق ، إنه ولى التوفيق .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

ويهنئ فخامة السيد شكرى القوتلى بقيام الجمورية العربية المتحدة .

كما أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى فخامة السيد شكرى القوتلى البرقية الآتية :

فخامة الرئيس شكرى القوتلى — قصر القبة القاهرة

يسرنى أن أبعث إلى فخامتكم بالتهنئة الخالصة ، بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التى كانت ثمرة جهودكم المتواصلة وتضحياتكم الرائعة ، راجيا لفخامتكم دوام التوفيق وللشعوب العربية الرفعة والعزة .

شيخ الجامع الأزهر

رد السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة على برقية فضيلة الأستاذ الأكبر

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة إلى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر البرقية التالية :

تلقيت ببالغ السرور برقيتكم بمناسبة إعلان الجمهورية العربية المتحدة التي ستكون حصنا منيعا للعروبة وسبيلا لنهضة العرب . والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للأمة العربية .

وذلك ردا على برقية فضيلته السابقة :

الأزهر ووحدة مصر وسوريا

أرسل علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق تهنئة إلى الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بوحدة مصر وسوريا ، وأشادوا فيها بدور الأزهر فى دعم هذه الوحدة ، وقد رد عليهم فضيلته بخطاب شكر جاء فيه : إن أولى الناس بالاعتزاز بهذا العمل المجيد هم أولو العلم ، الذين يقدرون هذه الخطوة المباركة حق قدرها ، ويحرصون كل الحرص على أن ينضوى تحت لوائها كل عربى مؤمن بعروبته ، مخلص لوطنه ، وإن أجدر العرب بالمبادرة إلى دعم هذه الوحدة هم إخواننا السوريون الذين رفعوا ألوية الوحدة على أطراف الدولة الإسلامية آمادا طويلة .

وبين فضيلته أن الأزهر الشريف ظل دائما حصنا منيعا لدعوة الحق ، ومنارا عاليا يشع نوره فى جنبات الأرض ، ويضم فى ساحته الرحبة كل محب للثقافة الدينية من أبناء العروبة والإسلام ، فى مساواة تامة ، وأخوة صادقة ، ويهيئهم تهيئة صحيحة للاضطلاع بمهمتهم النبيلة فى ميادين العلم والثقافة الوطنية .

كما تلقت مشيخة الأزهر من الكليات والمعاهد الدينية والهيئات المختلفة ، سيلا من البرقيات وخطابات التهنئة بوحدة مصر وسوريا ، والآمال الكبيرة التى يعلقها العرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمسلمون على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، كما وردت من الخارج بهذا الخصوص برقيات ورسائل من جهات متعددة ، كان من أبرزها تهنئة من علماء الجامع الأموى الكبير بدمشق التى سبقت الإشارة إليها ، وأخرى من الاتحاد الدولى للطلاب فى براغ .

وقد رد فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التهانى مشيدا بالروح الطيبة التى تحس بجلال هذا العمل المجيد ، ناصحا بالعمل المتواصل لدعم هذه الوحدة ومساندتها للوصول إلى الغاية المرجوة من وراء أكبر حدث فى تاريخ الأمة العربية الحديث .

بيان من مشيخة الأزهر

بمناسبة الاستفتاء على قرار الوحدة بين مصر وسوريا

وانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

شيخ الأزهر وعلماؤه : يهيبون بجميع المواطنين فى سوريا ومصر أن يتوجهوا إلى لجان الاستفتاء عن قرار الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين ، وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة .

وهم على ثقة تامة بأن إيمان الشعب بهذا العمل الجليل ، وحاجته الأكيدة إلى وحدة تجمع الشمل ، وتضم الجهود ، تحت قيادة رشيدة حكيمة ، كفيلان بحرص المواطنين جميعا على أداء هذا الواجب الوطنى نحو أكبر حدث فى تاريخ العرب الحديث ، ذلك الحدث الذى توج كفاح الشعبين الكريمين ، بقيادة زعمائهما المخلصين الذين جعلوا مجد العرب نصب أعينهم ، وبذلوا فى الوصول إليه كل ما يملكون من جهود وتضحيات ، جديرة بالتقدير والالتفاف حولهم ، ومساندتهم للوصول بالوطن الواحد ، إلى ما يريدون له من عز ومجد وسؤدد .

حيا الله الأمة العربية وحيا زعماءها الأحرار ، ووفقنا جميعا إلى ما فيه خير الوطن وعزة العروبة .

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة

إن قيام الجمهورية العربية المتحدة ، التى تضم مصر وسوريا ، وتجعل من دولتيهما دولة واحدة عظيمة ، ومن شعبيهما أمة واحدة قوية لهو من أجل النعم التى يجب أن تعطى حقها من الشكر ، بحسن رعايتها ، والاحتفاظ بقوتها .

هو أكبر حدث فى تاريخ الأمة العربية الحديث ، قد توج به كفاح الشعبين العظيمين تحت قيادة زعمائهما الأحرار ، الذين آمنوا أصدق الإيمان بحقهم ، وأخلصوا أعظم الإخلاص لقضية عروبتهم ، وجاهدوا أشق الجهاد وأمره ، للوصول إلى ماهو جدير بهذه الأمة من عزة وسيادة ، ومجد وكرامة .

وإن هذا العمل السياسى الخطير ، لهو بشير أمل كبير ، فى مستقبل سعيد باهر ، ينتظر الأمة العربية كلها ، وسيتحقق به هذا الأمل المنشود بحول الله وقوته . ذلك لأنه عمل نابع من قوارة الإيمان ، منبعث عن صدق إخلاص وصحة وجدان ، فهو ترجمة للفكرة الأصيلة ، والعقيدة الراسخة ، التى يعمر بها قلب كل عربى ، عليم بما تقاسيه الشعوب العربية وتعانيه ، من جراء تدابير الفتنة ، ووسائل التفرقة ، التى كان يحيكها ويحبك أطرافها الاستعمار البغيض .

إن هذه الوحدة المباركة التى جمعت بين سوريا ومصر ، ليست عنصرا غريبا طارئا على كيان الشرق العربى ، فان جامعة الدين والدم واللغة والتاريخ قد ربطت بين أهل هذا الشرق من قديم الزمان برباط قوى متين ، وجعلت منهم فى دهور طويلة دولة قوية ، كان يهتز لها العالم كله رغبا أو رهبا . ولم يضعف شأن هذه الدولة إلا عند ما وقفت تدابير السوء ضدها ، وبرزت أفاعى الشر وأفاعيل الحقد والحسد فى طريقها ، وعمل الاستعمار جاهدا على تفريقها أحزابا وشيعا ، وتمزيقها دويلات وإمارات .

نعم ولكنها لم تفقد حيويتها ولم تمت فيها روح المقاومة ، بل ظلت تكافح وتقاوم بما كان يتهيأ لها من وسائل المقاومة والكفاح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان أهم ما يعوزها فى هذا الكفاح الطويل لتستعيد حريتها ، وتسترد مكانتها هو القائد البطل الخبير الذى يحسن التوجيه ويعرف كيف تكون القيادة الحازمة الحكيمة التى تسلك بالأمة إلى مستقر الأمن والعزة والحرية .

وقد أراد الله الخير لشعبي سوريا ومصر ، فقيض لسوريا البطل الشيخ شكرى القوتلى وقيض لمصر البطل الشاب جمال عبد الناصر . تآلفت روحهما وتوافق إيمانهما وإخلاصهما واجتمعا على قلب رجل واحد ، وذلك حيث كان قد اكتمل فى الشعبين العظيمين تفاعل قوى الإيمان بالوحدة ، واليقين بالعزة فى اجتماع الكلمة ، والشعور بضرورة العمل فى صف واحد ، لإحياء تراث العرب ، واستعادة مجد العروبة وعزتها وقوتها .

وقد انبثق بفعل هذه العوامل القوية الشريفة فجر الوحدة ، وتكونت الجمهورية العربية من الشعبين الكريمين . أمة واحدة تؤمن بالخير وتدعو إليه ، وتبغض الشر وتعمل للقضاء عليه ، أمة غايتها من اتحادها بعد طول جهادها وكفاحها أن تعيش عزيزة كريمة ، وأن تؤيد كل من يعمل لعزة الشعوب وكرامتها ، والله ولى التوفيق يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تحية وتقدير

إلى الشيخ الوقور ، والبطل المجاهد ، المواطن الأول فى الجمهورية العربية المتحدة ، فخامة السيد شكرى القوتلى :

بعثت المجد للعرب اتحادا ... وخلدت العروبة والجهادا
بنيت لهم وأعليت العمادا ... بعزم يصنع العرب الشداد
فوحد جمعهم ، وثق عراهم ... فذئب الغاب يأكلنا فرادى

عبد الحكيم الجوهرى

وليد ميمون

الجمهورية العربية المتحدة

فى اليوم الثانى عشر من رجب سنة ١٣٧٧هـ الموافق الأول من فبراير سنة ١٩٥٨م، تمخض الزمن عن أكرم وليد فى تاريخ العرب، وهو الجمهورية العربية المتحدة، تلك الجمهورية التى امتزج فيها الشعبان العربيان الكريمان، الشعب السورى والشعب المصرى، وأصبح القطران قطرا واحدا ودولة واحدة، وقد قرت بذلك أعين المحبين وتميزت غيظا قلوب الحاقدين الشانئين.

ولقد تظاهرت على تكوين ذلك الوليد عوامل حاول الكاتبون أن يتقصوها ويتعرفوا قريبها وبعيدها، وذكروا أن الاتفاق فى الأهداف بين الشعبين كان من العوامل القوية فى وحدتهما وتكوين الجمهورية المتحدة، وأن اشتراكهما فى الآلام التى مرت بهما على أيدى المستعمرين والمسيطرين كان من تلك العوامل، وكذلك وحدة الجنس واللغة والدين والماضى التاريخى، وقال بعض ممن يزعم استنباط الحقائق: إن استهداف القطرين لخطر المستعمرين والمتآمرين هو العامل الأهم فى ميلادها، ومهما تكن هذه الأفهام من الواقع فإن الحقيقة التى نؤمن بها ولا يخامرنا فيها ظل من الشك أن فى مقدمة العوامل وأهمها، وأغربها فيما ترى أعيننا، تضحية الزعيم السورى شكرى القوتلى، فقد فدى برياسته وزعامته وجاهه ومظاهره مصلحة العرب وشعوب العرب والقومية العربية، وما قرأنا فى تاريخ الزعامات والرجال مثل هذه التضحية والإيثار ونكران الذات. والذى قرأناه أن أكثر الزعماء كانوا يفدون أمجادهم الشخصية بمصالح الشعوب وأمجادها، ولا غرابة، أن تتحقق بتلك التضحية أحلام الشعوب العربية، وأن تقوم الوحدة بين الشعبين السورى والمصرى بمثل هذه السرعة التى لم تعهد فى تاريخ الدول.

لقد استقبل الشعبان المصرى والسورى مولد الجمهورية العربية المتحدة فى احتفالات قل نظيرها من قبل، ولم تكن تلك الاحتفالات مظاهر اصطنعها الشعبان فى الأغانى والأناشيد والأعلام والبنود، ولكنها كانت مسرات وابتهاجات انبعثت من القلوب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والوجدانات فانطلقت بها الألسنة هتافات مصورة معبرة ، شاملة لا تقف عند حد ، ولا تقصر دون غاية .

لقد هلل المصريون وكبروا ، وفرحوا وابتهجوا كما يفرح الكهل بوحيده ، يذخره للهام والأحداث الجسام ، ويعتز به عضدا وعونا على الأيام ، وكذلك المصريون والسوريون ينتظرون من هذه الوحدة تعاونا وتبادلا وتكافلا فى المصالح الداخلية ، وينتظرون منها حماية واطمئنانا وأمنا وسلاما من الأحداث الأجنبية .

لقد سارت خطوات تلك الوحدة موفقة سريعة لم تتعثر ولم تتعوق : فقد كان حاديها الإخلاص للعرب وللقومية العربية ، ولم تشبها الأغراض ولا الغايات الشخصية ، وكان حاديها أيضا رغبة الشعبين فى حياة حرة كريمة ، لا تتحقق إلا بتكافل القوى وتضافر الجهود واجتماع القلوب ، وسارت موفقة أيضا إذ لم تقف دونها مكايد المستعمرين ، ولأنها كانت ثمرة جهاد طويل بذل الشعبان فيه من الدماء والأرواح ما وعاه التاريخ .

لقد قال شكرى القوتلى إثر توقيع ميثاق الوحدة : « إننا بإعلاننا وحدة الجزأين العربيين الغاليين ، والقطرين المجاهدين المناضلين ، وطنا واحدا فى جميع مرافقه وشئونه بلا تفريق ولا تمييز ، وبلا تحديد وبلا تحفظ ، إننا لم نأت بجديد ، بل إننا نصحح أوضاعا ونعيدها إلى أصولها ، ونتجه بذلك كل الاتجاه مع حقيقة الأمة العربية ، وحقيقتها كانت وما زالت وستبقى إلى الأبد حرية ووحدة .

وإنى لعلى إيمان راسخ بأن الأجزاء العربية إذا وعت وتحررت ، تعارفت وائتلفت وتجمعت فتلاقت ، فالألفة هى الأصل ، والحرية للعرب أمر محتوم لن تستطيع أكف الإنسان العاتى مهما اصطنعت لنفسها من قوى الشر أن تغير قليلا أو كثيرا من أقدار الأمة العربية ، من أجل هذا أراني واثقا كل الوثوق أن وحدتنا القومية هذه نواة ستكبر وتنمو ، وخطوة فى صميم الواقع العربى ستتلوها خطوات ، ولقد فتحنا نوافذنا للشمس ، وصنعنا صفحات للأجيال القادمة فى أفضل طريق للتحرر والوحدة » .

لقد كان ميلاد الجمهورية العربية المتحدة حدثا تاريخيا فذا ، معناه أن العرب أمة واحدة ، وأن العربى فى أقصى المشرق أخو العربى فى أقصى المغرب ، يتجاوبان ويتعاطفان : مشاعرهم واحدة ، وإحساساتهم واحدة ، وأنهم إن تفرقوا فعلى غير رضا وعلى غير هوى ، وبعوامل ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع أعدائهم الذين يتربصون بهم الفرص ، ويعملون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على تمزيقهم ليسهل التهامهم واهتضامهم ، واستعبادهم واستغلالهم ، وإذا زالت عوامل الفرقة عادوا مؤتلفين مشوقين ، عودة النازح إلى داره والغريب إلى وطنه .

سيقيس قصار النظر الوحدة السورية المصرية بالمقياس المادى التافة فيقولون : سيكون من وراء ذلك مجال للزراعة والصناعة وللعمل والرواج إلى غير ذلك ، أما ذوو العقول الكبيرة والتقدير الصحيح فيقيسونها بفوائدها المعنوية والأدبية ، وبمقدار ما تحققه للشعبين وللعرب عامة من عزة وكرامة ، وما تضفيه عليهم من مهابة وتقدير من الشعوب الناهضة الواعية ، وبمقدار ما تدفعه تلك الوحدة من أطماع فى الشعوب العربية وفى حرياتها واستقلالها .

لقد كانت تلك الوحدة برضا الشعبين ، وتحقيقا لإرادتهما الواضحة الخالصة من كل ضغط أو إكراه أو نفوذ أجنبي ، فهى وحدة نابعة من ضمير الشعبين ومستندة إليه ، وكانت أمنية من أمانى الشعبين تهفو إليها قلوبهم ، وحلما يراود خواطرهم ، ودعاء تردده ألسنتهم ، فأصبحت حقيقة واقعة ترمقها العيون وتحوطها القلوب ، وما أحلى الأمانى أن تتحقق ، وأعذب الأحلام أن تصدق والدعوات أن تستجاب ! ! .

وما تم بإرادة الشعوب فان الله سيباركه ويحقق الثمرات المرجوة منه ، وسيحرص عليه كل فرد منها ، ويحافظ عليه حفاظه على مصدر عزه ومبعث كرامته ، وإن واجب كل فرد فى مصر وسوريا أن يعمل على تثبيت أركان الدولة الموحدة ، وتمكين دعائمها لتحقق أهدافها ، وتؤدى الغرض منها ، ولتكون مثلا صالحا تحتذيه الأجيال القادمة فى خدمة القومية العربية والوطن العربى .

وسيذكر التاريخ فى إعزاز وفخار بطلين عربيين مجاهدين ، عملا على تحقيق الوحدة فى عزم وتضحية وإخلاص ، ولم يهدفا إلى مجد شخصى أو مغنم مادى ، ولكنهما استهدفا مجد العرب وخير العرب ، وحسبهما شهادة التاريخ وتقدير العرب .

أبو الوفا المراغى

الشعوب تؤيد الجمهورية العربية المتحدة

ولا تؤيد اتحاد الملكين

أبرق ريموندهير سفير الولايات المتحدة فى القاهرة إلى حكومته يقول :

إن الجمهورية العربية المتحدة تتمتع بتأييد الشعوب العربية لها ، فى حين أن اتحاد ملكى العراق والأردن لا يحظى بمثل هذا التأييد ، فقد أنشأه الملكان دون استفتاء شعبيهما فى أمر إقامته .

وثبـا ... نحو وحدة العرب

وكأنمـا كان عمرو بن العاص وهو يلـكز جواده بشدة لينهب الأرض نهبا حتى يجتاز (الحـدود) بين الشام ومصر ، يدفع الحواجز حتى تتطاير مع الغبار الذى أثارته سنابك الخيل » . . .

وما كان مسير عمرو من الشام إلى مصر جديدا ، فالجمع بينهما كان هدف القوى السياسية قبل عمرو و بعد عمرو : تحتمس والإسكندر وقيصر ، ثم دول الإسلام المتعاقبة حتى بعد قيام (حكم ذاتى) فى مصر ، وأخيرا بونابرت فالاستعمار الإنجلو فرنسى للشرق العربى . .

ولـكن عمرو بن العاص وحده هو الذى حقق المعجزة . . . .

إنه لم يرسم خطوطا من الورق تمثل الحـدود فحسب ، بل أدمج الدم وأدمج اللسان حين أدمج الأرض . . . . إنه أجرى تحولا حضاريا وانقلابا اجتماعيا . . . . إنه أحال مصر قطعة من جسد العروبة الحى ، وجعل أبناءها ـ حتى غـير المسلمين ـ لا يتفاهمون بغير العربية ، ولو فى شئون الدين والمعتقدات التى كانت ـ من قبـل ـ فى كتبها المقدسة وتراتيلها وعظاتها لا تعرف الطريق للعربية ! !

لقد أراد إخناتون أن يبتـكر ديانة توحد الإقليمين فـكريا بعد أن توحدا سياسيا . . فـكانت ديانة الشمس المشرقة ، ولـكن الديانة الموحدة هزت عرشه هو فى الداخـل فتهاوى ، وانهارت معه ديانة (آتون) . . . وبقيت الانقسامات التقليدية وزالت الدولة الموحدة القوية ! !

لـكن عمرو كان يحمل رسالة الذى يعلم ما تخفى الصدور ، وهو الذى سوى الأنفس وبرأ الناس . . . . فخالطت فطرة الرسالة فطرة القلوب (فطرة الله التى فطر الناس عليها ؛ لا تبديل لخلق الله ؛ ذلك الدين القيم ، ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) !

كان عمرو يرتـكز إلى ركن الوحدة الركين : كان معه الرباط الجامع والعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكتب للوحدة الخلود يوم دعم قاعدتها (الفكرية الروحية) دين الخلود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبقى الإسلام مهوى الأفئدة هنا وهناك .... وبقى لقاء السورى والمصرى على مائدة القرآن إن عز اللقاء بالأجسام ، وتلاقى وجهاهما على قبلة البيت الحرام إن تعذرت المقابلة بأرض مصر أو بأرض الشام ، إثر الحدود التى فرقت بين الأشقاء ! !

وجاء وضع مصر الخاص فى ظل حكم محمد على وخلفائه ؛ ثم الاحتلال الانجليزى ، وأخيرا الاتجاه نحو الاستقلال السياسى فى حدود النزعة الإقليمية ..... كل هذه كانت عوامل تفريق ، فى حين كانت اللغة لا تفتأ تحتفظ بالمجارى العميقة الغائرة التى تجمع مصر والشام تحت مظهر الانفصال السطحى ، وكان الإسلام تيارا فكريا مشتركا يتحدى الحواجز والجمارك قصاصات التمزيق الدولية : قرارات لندن ، وسايكس ـ بيكو ووعد بلفور ومعاهدات الصلح النهائية !

* * *

وظن المستعمر أنه يسخر من العرب ؛ حين أوحى بتكوين (جامعة دول) فى نهاية الحرب الماضية .... ثم ظن أنه يمعن فى السخرية حين يعرض جامعة الدول لحك المحنة فى فلسطين .... فيخرج العرب وقد ذاقوا مرارة الهزيمة ، وأوغرت صدورهم العداوة فلا يفتأون يتراشقون بالاتهامات : من المسئول ؟؟ .

وكانت النتيجة غير ما أمل العدو ... ولو كان يعلم ما حدث لما رضى (بثمن إسرائيل) ...

نعم ... فقد بلورت الكارثة مشاعر العرب ، وجعلت الوحدة ليست (صكا) ممنوحا لهم من على ، ولكن تجاوبا حقيقيا وإدراكا واعيا لمصالحهم المشتركة ، وآمالهم وآلامهم القائمة ، والخطر العام المتحفز ـ الرابض فى قلب ديارهم .

وصار اللاجئون الذين تشتتوا بين ديار العرب ليجعل منهم الاستعمار عنوان الهوان والعار ـ صاروا على غير ما قدر ـ حافز الهمة ووفاء الزيغ ، تنخس آلامهم كل من ينزع إلى دعة أو يخلد إلى دون ... وكانت المعركة كلها تعريفا بالطريق الصحيح إلى الوحدة ، وكشفا للعيوب والثغرات ، وبيانا للعراقيل والعقبات ... فالوحدة لا تتحقق خلف المكاتب الفاخرة ، وفى الأحفال الباهرة بين أهواء متنازعة متصارعة ، وإنما تتحقق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوحدة يوم تمثل رغبات الشعوب حقيقة واقعة فى اتجاه الدول ، ويوم تختبر هذه الرغبات فى المحن والنكبات فتثبت فى الامتحان . . .

كانت معركة فلسطين مدرسة . . . وكان تشتت اللاجئون تذكارا . . . وكان قيام إسرائيل نذيرا . . . فانظر كيف قدر العدو فخاب التقدير !

* * *

وطوت معركة فلسطين آثار عزلة فكرية ونفسية قامت أثر تباعد العرب السياسى ردحا من الزمن . . . لقد قامت الدول العربية المعاصرة تنفخ فيها روح القومية المحلية ، وغفل نفر ممن يعيشون فى القرن العشرين عن اتجاه العالم نحو التكتل . . .

سمعنا عن فرعونية وأشورية وفينيقية . . . رغم أن المتنقل بين العرب فى كل أرجاء عالمهم لا يسمع غير لسان العرب ، ولا يرى إلا أمة العرب ! !

أين أشور وبابل فى بغداد والبصرة والموصل ؟ أين فينيقيا فى دمشق وحمص وحلب والقدس وبيروت ؟ .

أين قرطاجنة فى تونس والجزائر والرباط ؟ ؟ أين الفراعنة فى القاهرة ؟؟ .

إننى لا أجد هذه (الأثريات) إلا فى المتاحف وحفريات القبور وبين الذكريات . . . يرشدنى إليها ويعرفنى بها دليل عربى ، وكتاب عربى ، فى أمة عربية ! !

وسمعنا عن وحدة عالمية مرتقبة تغنى عما عداها من وحدات . . . وكأن وحدة العرب تشاز فى وحدة العالم ، مع أن اندماج الوحدات الإقليمية الصغرى فى وحدة ، أكبر تقريب لتحقيق الحلم الإنسانى المنشود !

وسمعنا عن خلافات اللهجات ، وتعدد الطوائف ، ومشكلات الاقتصاد والتشريع ونسوا أن الأمة حين توجد بكيانها الأصيل ، فكل مظاهر التباين فى أجزائها سطحية غير عميقة الجذور . . . كيف وعندنا العربية السليمة تجمع كل شتات ، والإسلام الحنيف ييسر حل المشكلات ! !

* * *

وكانت سوريا طليعة الرواد إلى الخير والمعروف . . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وذلك لأن سوريا ـ كما هو معلوم لدى الجميع ـ أعرق الأقطار العربية فى الشعور بالقوميـة العربية ، وأكثرها تجردا عن النزعات الإقليمية ، وأشـدها توقا إلى الوحدة العربية . وكانت قد أعلنت ـ خلال مشاورات الوحدة العربية (١٩٤٤) ـ على لسان ممثليها بصورة رسمية استعدادها التام للتنـازل عن سيادتها فى تكوين (دولة عربية) تجمع تحت رايتها جميع شعوب الأمة العربية . . .

ولم تكتف فى دستور ١٩٥٠ بالنص على (عروبة سوريا) بل أشارت إلى (وحدة الأقطار العربية) .

(. . . ونعلن أن شعبنا الذى هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع إلى اليوم الذى تجتمع فيه أمتنا العزيزة فى دولة واحدة، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة فى ظل الاستقلال والحرية) . وجاء فى قسم رئيس الجمهورية والنواب : (وأن أعمل على تحقيق وحـدة الأقطار العربية) . . . ، فى شأن الجنسية : (. . . ويكون تسهيل خاص للمغتربين وأبنائهم وأبناء الأقطار العربية) » .

تلك شهـادة الأستاذ ساطع الحصرى لموقف سوريا فى موكب وحدة العرب . . . فلا غرو أن رأينا ـ هـذه المرة ـ سوريا تتبع الطلائع بالطلائع ، والبشائر بالبشائر ، من قرارات لأحزاب ثم للمجلس النيـابى ومجلس الوزراء ، إلى إرسال الوفود والمشاركة فى الجلسات ، إلى إهداء العـلم السورى ـ وهو الرمز المكرم الحبيب ـ ليرفع على منصة الرياسة فى مجلس مصر ! .

* * *

ولسنا ـ ونحن فى زهو الأفراح ـ عن تبعات الوحدة بغافلين . . .

نحن نقرأ فى التـاريخ المـاضى كيف قابلت ألمـانيا وإيطاليا المتاعب ، ونعرف أن تبلور الوحدة واعتياد التـكافل فى المغـارم والمغانم ، وتقـاسم الأعباء والمزايا يحتاج لعزمات الرجال . . .

ونحن نقرأ فى التاريخ المعاصر كيف طاف طائف (وحدة أوربا) بالذهن، ثم استحال جهودا متتـابعة : منظمة سياسية تضم مجلسا وزاريا وآخر برلمـانيا للاتحاد الأوربى ، فاتحاد الصناعات الأساسية التى تناثرت مراكزها، ثم سوق مشتركة ، ومشاورات متصلة حتى لا تظهر ثلمة من جراء فرقة ، وما زالوا فى الطريق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فنحن نعلم أن الاقتصاد السورى لا يحوى مناجم الذهب السعيدة التى سيغترف منها المصريون بالأكوام ، كما أن الاقتصاد المصرى لا يضم الكنوز التى سيبسط السوريون حجورهم ليحملوا منها بالأطنان ! ونحن نعلم أن العدو يتربص بمصر الدوائر من أجل (استراتيجيات القناة) وظروف مصر الجغرافية والمعنوية ، كما نعلم أن العدو يتربص بسوريا الدوائر وراء (استراتيجيات البترول) ! ! ونحن نعلم أن الصراع بين الكتلتين يدور ولا ينتهى ، وأن الشرق الأوسط صار من ميادينه ، ونحن اليوم بين الشد والجذب نريد عدم الانحياز . . .

فموقفنا دقيق . . . ينبغى أن نكون بنيانا مرصوصا يصمد لضغط الأخطار من الخارج ، ويتغلب على ضغط الأهواء فى الداخل ، ينبغى أن ننجح فى أن (نضبط) أنفسنا ، ونضبط قوانا الاقتصادية والتنظيمية والدفاعية على السواء . . . ينبغى ألا نتجه لغير العمل والواجب ، وحينئذ نسلم من عدونا ونضاعف إنتاجنا .

* * *

ثم واتتنا الأنباء عن اتحاد جديد بين الأردن والعراق . . .

وللرئيس بورقيبة أمنية فى اتحاد عربى لشمال إفريقيا يضم تونس والجزائر ومراكش وليبيا أيضا إذا أمكن ، وليس فى هذا الاتحاد أوذاك إلا بادرة الخير ، فان تزحزح الحواجز المصطنعة لن يقف فلندعها تنحسر ولو بالتدريج !

ولن يغطى الخلاف السياسى الطارئ لبعض الوقت فى جيل من الأجيال ، على تقدير خطوة تؤكد مستقبلا أفضل لأمة العرب على مدى الأجيال !

إن اتحاد الملايو خطوة نحو خير المسلمين لو أحسنوا الإفادة منها ، وإن نشأ هذا الاتحاد فى كنف (الكومنولث) ، وكذلك اتحاد (محميات الخليج) او نشأ ـ أو أريد له أن ينشأ ـ كلها خطوات نحو الأمل المرموق ، مهما كانت الأيدى التى تصنع والأهداف التى تقصد ! !

وراء الأيدى يد القدر ، وأمام الهدف المصنوع هدف مطبوع على صفحات القلوب . . .

ولنذكر جميعا أن (كندا) التى استبقتها بريطانيا فى إطار روابطها ، ما فتئت تتحرر تدريجا من هذه الروابط ، وهى اليوم أقرب إلى (الولايات المتحدة) جارتها وشقيقتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منها إلى بريطانيا التى يضمها وإياها (الكومنولث) ! ومركزها السياسى والاقتصادى قد يفوق مركز بريطانيا نفسها فى كثير من الجوانب والأطراف .

* * *

هكذا يعود التاريخ إلى مجراه ...

وتضم دولة واحدة (المسجد العتيق : مسجد عمرو) بالقاهرة والمسجد الأموى فى دمشق ... بعد أن جمعتهما قبلة واحدة ويتعاون (الأزهر) مع (الكلية الشرعية) ...

تحية من مصر إلى دعاة الحركة العربية من العرب الأحياء الذين يشهدون معنا عيد العرب :

تحية إلى الرئيسين جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى ، وإلى السادة صبرى العسلى وصلاح البيطار وإحسان الجابرى ، والسيدين اللذين يعملان فى جد وصمت محمود فوزى وعلى صبرى ، وتحية إلى محب الدين الخطيب وساطع الحصرى ، وما أكثر ما دافعا عن العروبة وبصرا العرب فهما مثال (لمفكرى) القومية العربية الرواد ، الذين ما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ...

ثم تحية إلى ربوع الأرض المقدسة التى بارك الله حولها ... تحية إلى شهداء فلسطين وإلى أحياء فلسطين ...

وأخيرا : تحية لكل خطوة نحو الوحدة فى كل ديار العرب .

وإلى الإسلام جميعا : نعمق به وحدتنا ، ونوثق عروتنا ، ونؤكد قبلتنا ، ونقيم شرعتنا ، ونذيع فى العالم رسالتنا ، لننهض بالأمانة الملقاة على عاتقنا :

« وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » .

فتحى عثمان

« تهنئة »

نجح المواطن العربى الحر عبد الحميد السراج ، فى امتحان القومية العربية ، بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى ، وسقط الممتحنون ، فنهنئه .

عن المجلة

ابراهيم محمد الأصيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحدة مصر وسوريا

أمل تحقق بعد طول كفاح ... فى وحدة كانت منى الأرواح
سار البشير بها لأمة يعرب ... مستبشرا فى نشوة المفراح
متهلل القسمات يشرق وجهه ... مثل الغزالة فى النهار الضاحى
وبصوته الرنان أعلن وحدة ... سر الصديق بها وغص اللاحى
نبأ سرى بين الربوع كما سرى ... نفح الشذى بأريجه الفواح
طربت له أبناء يعرب كلها ... واستقبلته ببهجة الأفراح
واستبشر القدس الشريف وكبر الـ ... ـبيت العتيق مهللا (بصلاح)[١]
وشدت بلابل فى الرياض تهز أعـ ... ـطاف الغصون الزهر فى الأدواح
فكأنما أغصان كل خميلة ... تصغى لصوت الطائر الصيداح[٢]
وتردد الإنشاد خلف طيورها ... فى هزة وتمايل ومراح
إن الطيور شدت لفرحة يعرب ... طربا بكل عشية وصباح
المطربون بصوتهم وبنايهم ... وبعودهم فاقوا على الصداح
ما أعذب الأنغام إن هى رددت ... فى السمع صوت المطرب المصداح
يتلو نشيد الظافرين مرجعا ... لحن الوفاق بغدوة ورواح
لحن يروى الظامئين بسلسل ... متدفق حلو المذاق قراح

* * *

قل للزمان اليوم سجل وحدة ... للعرب تم قيامها بنجاح
الله رائدها إلى غاياتها ... والروح ظللها بظل جناح
و (محمد) والصحب فى طرب بما ... قد حقق الرحمن من إنجاح
والعرب تهتف فى البلاد بفرحة ... قد بددت ما كان من أتراح
والنيل صفق كالطروب مهنئا ... (بردى) بفيض بيانه الوضاح

---

[١] صلاح بفتح الصاد وكسر الحاء اسم لمكة المكرمة .
[٢] الصيداح والصداح بمعنى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتبسمت فى الشام أزهار الربا وافتر فى الوادى ثغور أقاح
لم لا تشاطرنا الطبيعة حبرة هى من أجل منائح المنـاح ؟

* * *

مصر وسوريا وحدتهم دولة كبرى بناها فالق الإصباح
جمعتهمو لغة الكتاب وشرعة تدعو إلى التوحيد والإصلاح
وأرومة لفت كريم عروقهم فى سادة شم الأنوف صباح
لما دعا داعى الوفاق لوحدة لبوا وما سمعوا مقالة لاح
وسعوا لتطهير القلوب وأخلصوا لله ، قبل تصافح بالراح
وتعاونوا فى سل كل سخيمة وذهاب أضغان ، ورم جراح
وبنوا على الإخلاص أعظم دولة قامت بأيدى مصلحين سماح
كفل الإله لها البقاء على مدى الـ ـأيام خالدة بغير براح
ما كان بدعا وحدة عربية أوحى بها لصلاح يعرب واح
هى وحدة الأهداف والغايات والـ ـلغة التى زانت بيان فصاح
إن الثقافة والمصالح لم تزل تهفو بأرواح إلى أرواح

* * *

لله وحدة إخوة لبوا بها صوت الضمير الناصح الملحاح
ستعيد للعرب الكرام مكانة فوق المجرة فى مدار براح [١]
وتعز أوطان العروبة بالظبا وأسنة مسنونة ، ورماح
من نال الاستقلال كان عليه أن يحمى حماه بهمة الطحطاح [٢]
الحق فى هذا الزمان مضعضع إن لم يعز بقوة وسلاح
إن التجارب كلها قد أثبتت ألا بقاء لنا بغير كفاح
والعرب ما ظفروا ببعض حقوقهم إلا بحد صوارم وصفاح
صمدوا ففازوا بالتحرر بعد ما طردوا الغزاة بقوة المجتاح

---

[١] براح بفتح الباء وكسر الحاء اسم للشمس .

[٢] الطحطاح من أسماء الأسد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قد حققوا استقلال بعض بلادهم بنضال حر باسل نضاح

* * *

يأيها العرب الأباة توثبوا في البر، والأجواء، والفياح [١]
فعلى الدماء ضريبة قد أوجبت تقديم أنفسكم لأشرف ساح [٢]
بيعوا الحياة إذا دعا داعي الفدا والبذل للأوطان بيع سماح
لا ترهبوا الأعداء إن هم هددوا ما يرهب الآساد صوت نباح
لا تخشوا الموت الزؤام فإنما الـ ـأعمار قد حددن في الألواح
لا تتركوا حمل السلاح وأرهبوا جيش العدو بصارم جراح
أجناد الاستعمار ما زالت على أوطاننا في عامر وبراح
هذي الجزائر ما تزال تحارب الـ ـأعداء فوق أريضة وقراح
و(عمان) في حرب عوان دوخت فيها العدا بسباسب وبطاح
لو أنصف العرب الأباة لوحدوا كل القوى، وتفاهموا بصراح
وقضوا على أعدائهم في وثبة تجتاحهم بالمحفل الطواح
إن التخاذل والتقاطع بينهم ترك العروبة في مهب رياح
والله لا يرضى التفرق بعد ما جاء الحنيف بنوره الوضاح

* * *

قل للذين تخلفوا عن وحدة والله ما هذا لكم بمباح
الله يأمركم بجمع شتاتكم والدين يطلب ذاك في إلحاح
وكتابكم يدعو لترك تنازع ويهيب بالتوحيد في إفصاح
عودوا إلى هدى الكتاب فانه ما جاءكم بتقاطع وشياح [٣]
أبنى العروبة تلك أسعد فرصة سنحت بضم صفوفكم وصفاح [٤]

---

[١] الفياح: البحر الواسع.
[٢] الساح جمع ساحة.
[٣] الشياح بكسر الشين الاعراض.
[٤] الصفاح بكسر الصاد مصدر صافح.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من لى بأن تصغوا لنصحى مخلصا ... فى وحدة تدعو إلى الإصلاح
بالله لا تهنوا ولا تتنازعوا ... يوما فتذهب ريحكم كرياح
لا تتركوا وطن العروبة نهبة ... للناهبين له ، وللنزاح
ولكم (بأندلس) مواعظ لم تزل ... تبكى العيون لرزئها الفداح
كانت بها للمسلمين ممالك ... قد ضيعت بتفرق وتلاح
لم يبق للاسلام فيها غير ما ... تركته من حزن لنا ونواح
وخذوا تجارب من (فلسطين) التى ... قد أثخنت أبناؤها بجراح
وطن العروبة فى فلسطين غدا ... بنى (يهود) مجللا بقباح
عاثوا به مثل الذئاب فصيروا الـ ... ـأجمات مفسقة لكل إباحى
فمتى أرى تلك العصابة شردت ... ومحاهمو بسيوف يعرب ماح ؟ !

* * *

أبنى العروبة فتحوا آذانكم ... لسماح نصح الحاذق النصاح
مصر وسوريا قد دعتكم دعوة ... للحق ، فاستبقوا بغير جماح
ذكرا مجادتكم وملك (أمية) ... بالشام فوق ممالك ونواح
وضع الأساس له (معاوية) الذى ... ساس الشعوب بحكمة وسماح
قد مد سلطان العروبة واسعا ... فى المشرقين على قرى وضواح
وتذكرا (بغداد) وهى مدينة ... شعت بنور العلم كالمصباح
نشرت بأيام (الرشيد) وشبله (الـ ... ـمأمون) للاسلام خير وشاح
وبنت حضارتها على أسس غدت ... لحضارة الأجيال كالمفتاح
وبجيشها الجرار كالآساد قد ... غلبت على دول عظمن فساح
وتدارسا عصر الفواطم زاهرا ... فى (مصر) بين توثب وطماح
بيد (المعز) بنو لمصر دولة ... عظمى بهمة قائد فتاح
وبنوا لها (المعمور) فيه أئمة ... بالعلم والعرفان غير شحاح
فاضت على الآفاق منه مناهل ... فياضة كالصيب السحاح
وحمى الحنيف لمن يعز بدينه ... وكتابه ، والضاد للفصاح
واليوم ناداكم بصوت ناصح ... لله ، فاستمعوا نداء الواحى
لا تخذلوا إخوانكم فى مصر أو ... فى الشام إن دعيا إلى إصلاح

فيهم (صلاح الدين) قام يذود عن ... قدس الحمى بعزمزم مجتاح
وفدت عليه جيوش الاستعمار فى ... زى الهداة عن الصليب تلاحى
زعما وما كان الصليب مهاجما ... بل فيه دين محبة وسماح
وأخو الحنيفة لا يروع آمنا ... فى سربه ، بأسنة وسلاح
لكنهم جعلوه دين تعصب ... أعمى يسوق الناس بالمطواح [١]
لم يبق فى قوس التصبر منزع ... عند ابن (أيوب) الفتى الصفاح
فأعد جيشا للدفاع تخاله ... جند الإله يذود جيش (سجاح)
يحمى شريعته ويدفع خصمه ... بكتيبة مثل الأسود رداح
طرد الغزاة عن البلاد كأنهم ... خبث الغثاء أمام سيل جلاح [٢]
خرجوا جميعا والصغار يحفهم ... والخزى عند هزيمة الجحاح
والغرب أصبح بعدها فى مأتم ... والقبط والإسلام فى أفراح

* * *

اليوم والتاريخ يرجع نفسه ... سنرى (جمالا) فى مكان (صلاح)
سيعيد عن المسلمين ومجدهم ... بجنوده الأبطال ، يوم فياح [٣]
فهو الذى أجلى الغزاة عن الحمى ... وبنى لمصر قواعد الإصلاح
وأشاع فى كل المرافق نهضة ... عظمى تبشر مصر بالأرباح
بعثت عزيمته الكنانة بعدما ... دفنت وراء الترب والصفاح [٤]
فكأنما أحيا المسيح رفاتها ... فسرت به الأرواح فى الأشباح
والخير مقرون بيمن البطل الرئيس ووجهه الوضاح [٥]
أقسمت ما استعصت بمصر أزمة ... إلا رأت حلا من الفتاح
فاستبشروا يا عرب بالمقدام، والهمام، والنفاع، والنفاح

---

[١] المطواح : العصا .
[٢] سيل جلاح هو الذى لا يبقى أمامه شيئا .
[٣] فياح بفتح الفاء وكسر الحاء اسم للغارة .
[٤] الصفاح الحجارة العريضة .
[٥] الوضاح : البسام .

إن الذى اختارت عناية ربكم ... سيكون للظلماء نور لياح [١]
ليل الخطوب قد انجلى وبدا لنا الـ ... ـفجر الوليد بسيد جحجاح [٢]
عرف الذى قد ضاع من أمجادنا ... فرنا بطرف للعلى طماح
بطل رأى (القوتلى) فيه قوة ... فى عزمه ، وذكائه اللماح [٣]
وأتاح مولاه له ما لم يكن ... يوما لأعظم قائد بمتاح
يمضى إلى غاياته فى عزمة ... تحكى عزيمة بيهس [٤] نضاح
ثبت الجنان محنك مستيقظ ... فطن لبيب ، للكايد صاح
اختاره (شكرى) لأنبل غاية ... ورجا (ليعرب) فيه كل فلاح
أديت يا (شكرى) الأمانة حينما ... بيد الأمين وضعتها يا صاح
سيظل ما أديت مقروءا على ... سمع الزمان بألسن الإفصاح
ويدوم ذكرك فى العروبة هاديا ... كالنيرات الزهر فى الإيضاح

* * *

لله تضحية (لشكرى) ذكرت ... (بابن الوليد) القائد الفتاح
فى وقعة (اليرموك) ضحى مؤثرا ... لله ، لم يركب هوى الجماح [٥]
ترك القيادة (خالد) متنازلا ... لأبى عبيدة عامر الجراح
وأطاع أمر ضميره وأميره ... وعلى المحيا فرحة المرتاح
وانضم جنديا يعاون قائدا ... بحسامه ، ونصيحة النصاح
والمؤمن الأواب ينكر ذاته ... إن عاد ذاك لقومه برباح [٦]
هذا هو الإسلام فى تعليمه ... لا يبتغى فى الحكم غير صلاح

محمد مختار سليمان بدير
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] اللياح : الصبح .
[٢] الجحجاح : الصبيح .
[٣] اللماح : اللماع .
[٤] البيهس من أسماء الأسد .
[٥] الجماح : صيغة مبالغة من جمح .
[٦] الرباح : الربح .

كلـــــة

عن تاريخ اليمن وأطوارها

لمناسبة مولد الجمهورية العربية المتحدة وما تبع ذلك من اتجاه كريم للدول العربية المتحررة للانضمام إلى هذه الجمهورية المتحدة، إما بالوحدة أو اتحاد فيدرالى، وفى مقدمة الدول العربية التى أعلنت عن هـذه الرغبة مملـكة اليمن ؛ لذلك نعرض ولو بقدر لقراء مجلة الأزهر لتاريخ اليمن القديم ، أدوار حياتها وأطوار وجودها التى مرت بها من أقدم العصور إلى يومنا الراهن . حين يعرض للناس الكلام عن الحضارة العربية أو أثر جزيرة العرب فى التقدم الإنسانى ، تنصرف بدائه الناس فى الأعم الأغلب إلى العصر الذى انبلج فيه نور الإسـلام ، فطهر قلوب العرب وآخى بين عقائدهم . فخرجوا يفتحون الأمصار وأنشأوا دولتهم العظيمة .

ولكن قبل مولد النبي العربى بأكثر من ١٥٠٠ عام ، كانت هناك فى بلاد العرب حضارة عتيدة لا تقل عن الحضارات الأخرى فى بلاد الشرق، وما زالت بقايا هذه الحضارة قائمة فى بعض جهات اليمن ، فمعابد المعينيين وآثارهم الأخرى التى بنيت فى القرن الثـامن قبل الميلاد، ما زالت تطاول السماء فى أسوارها الضخمة، وأعمدتها المرتفعة، كما نقش سكان اليمن القدماء على جدران بعض معابدهم، وعلى لوحات من الحجر والنحاس بعض أخبارهم، فأصبحنا نعرف الـكثير عنهم . وليس القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو مبدأ ظهور الحضارة فى اليمن ، ولـكنه تاريخ محـدد معروف ، ولا شك فى أن بدء ازدهار الحضارة فى تلك البـلاد يعود إلى عصر أقدم من هـذا العصر ببضع مئات من السنين أو أكثر من ذلك . كما أن صلة اليمن بالبلاد المجاورة لها يرجع إلى آلاف السنين، ولا يخالجنا شك فى أن دراسة آثار اليمن بعد حفر مناطقها الأثرية . سيلقى كثيرا من الضوء ليس على تاريخ هذه الجزيرة فحسب ، بل سيوضح لنا الـكثير عن صلة الحضارات القديمة بعضها ببعض ، والدور الذى لعبه قدماء اليمنيين فى تاريخ حضارة الشرق .

أقدم الصلات بين اليمن وغيرها من البلاد :

نعرف من الآثار المصرية أن المصريين القدماء كانوا يقومون منذ فجر تاريخهم برحلات بحرية فى البحر الأحمر لإحضار البخور المشهور فى بلاد اليمن ، وأشياء أخرى من بلاد بونت ، وهى البلاد الواقعة حول بوغاز باب المندب على الشاطئين الآسيوى والإفريقى أى بلاد الصومال ، وجنوب اليمن وحضرموت .

وقد كثرت هذه الرحلات منذ ألف عام قبل الميلاد، واستمرت حتى آخر أيام الحضارة المصرية ، وأشهر هذه الرحلات هى الأسطول الكبير الذى أرسلته الملكة المصرية الفرعونية « حتشبسوت » فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وعاد محملا بخيرات تلك البلاد كما عاد أيضا ومعه أشجار البخور لغرسها فى معبد الإله آمون . وقد نقش النقاشون المصريون على جدران معبد هذه الملكة فى البر الغربى بالأقصر « وهو المعروف باسم معبد الدير البحرى ، تفاصيل هذه الحملة وخيرات بلاد بونت ورسموا بعض بيوتها وحيواناتها وأهلها وأسماك البحر الأحمر .

ومما تجب الإشارة إليه أن الصلات التجارية بين مصر واليمن ، لم تقتصر على مدن الشاطئ بل وجدت طريقها إلى داخل البلاد . وفى اليمن آثار مصرية أهمها جعران من عهد الملك « أمينوفيس الثالث » ، من الأسرة الثالثة عشرة المصرية فى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وبعض آثار مصرية أخرى يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ولكن هناك ما هو أوثق من هذه الصلات التجارية . فقد عرف قدماء المصريين أن بعض أجدادهم أتوا من طريق « قفط القصير » ، كما أنهم يزعمون أن بعض معبوداتهم بينه وبين بلاد العرب صلة .

وكما اتصلت بلاد اليمن بمصر . فقد اتصلت بمهد الحضارات الأخرى فى ألوان شتى . وقد ورد على آثار السومريين منذ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد إشارات إلى الصلة بينها وبين الجزيرة العربية .

وفى أخبار الملك « تيجلات باسر الثالث » حوالى عام ٧٣٦ قبل الميلاد أنه أخذ من أهل سبأ جزية من الذهب والبخور والجمال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما صلة اليمن بالشاطئ الإفريقي فلابد أنها بدأت منذ أقدم عصور التاريخ . وتركت القبائل اليمنية على الشاطئ الإفريقي وأحيانا داخل البلاد أثرا لا يمحى من حضارتها وثقافتها منذ آلاف السنين إلى اليوم . وأهل يكسوم القدماء ليسوا في الأصل إلا بعض من هاجر من اليمن إلى بلاد الحبشة .

ذكر حضارة اليمن في الكتب المقدسة :

يتبين من القرآن الكريم ومن التوراة بجلاء ، المدى البعيد الذي وصلت إليه حضارة اليمن . وحسبنا الإشارة إلى قصة النبي سليمان وملكة سبأ . ووصف مملكتها وعرشها لإدراك ما كانت عليه اليمن حوالى عام ألف قبل الميلاد .

وجميع هذه الأطوار المختلفة يشير إليها الكتاب المنزل في سورة سبأ ، كما ورد ذكر ممالك معين وسبأ في التوراة وفي كتب الأنبياء .

وحسب المرء أن يدرك من بين هذه الإشارات ما كانت عليه اليمن من حضارة ، وما كان في أيدي بنيها من سيطرة على الاقتصاد الشرقي القديم ، وذلك قبل سطوع نور الإسلام بأكثر من ١٢٠٠ سنة .

علاقة اليمن بالرومان واليونان :

ولم تخل كتب مؤرخي اليونان والرومان من ذكر الجزيرة العربية « اليمن » وذكر المعينيين والسبئيين والحميريين وذكر تجارة العطور والبخور التي كانت رائجة في أيدي أبناء اليمن ، واتخذوا منها تسويقا لتجارتهم عادت على أبناء البلاد بأبرك الثمرات وأطيب الفوائد . ولم يكن مسموحا للسفن الهندية أن تجتاز ميناء عدن يومئذ . فكانت مضطرة إلى أن تبيع أحمالها إلى تجار اليمن الذين كانوا ينقلونها بقوافلهم إلى أسواق الشام ، مجتازين تلك الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . ومن غزة تأخذ طريقها شرقا إلى بابل ، أو غربا إلى مصر ومنها إلى أوروبا . وتعود قوافل اليمنيين من الشام محملة بكل ما يجدونه في أسواقها فيبيعونها مرة أخرى لسكان الجزيرة أو إلى غيرهم من التجار .

أما حضارة اليمن الإسلامية المشرقة في عهدها الأخير ، وما عرض لها من تطورات تبعث على الفخر والإعجاب والزهو والإطناب بنهضاتها المختلفة ، وما شاع فيها من النخوة العربية والحمية الإسلامية الكاملة ، وما ربط بينها وبين البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب العربي ، فموعدنا بإيفاء كل ذلك حقه في فرصة مواتية ؛

عباس ط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه صباح الاثنين خامس شعبان (٢٤ /٢/ ١٩٥٨) وفد علماء يوغوسلافيا برياسة الحاج سليمان كيمورا رئيس الجامعة الإسلامية اليوغوسلافية ، وعضوية السيد / بدرى عبد الحميد رئيس مجلس علماء مقدونيا ، والسيد / بيرم أغانى رئيس مجلس علماء صربيا ، والسيد / الحاج مصطفى شوا عضو مجلس علماء البوسنة والهرسك ، والسيد / جودت ظالكا عضو هيئة علماء المسلمين فى سراى بوسنة . وكان الحديث يدور حول أحوال المسلمين فى يوغوسلافيا واهتمامهم بأخبار العرب ، لأن قوتهم قوة للاسلام ، وسرورهم بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وتقديرهم للأزهر فى نشر رسالة الإسلام فى جميع بقاع الأرض .

وقد أكد لهم الأستاذ الأكبر أن الإسلام هو دين الوحدة التى لا تعرف التفرقة والعنصرية ، وأن قوة المسلمين فى اعتصامهم بكتاب الله ، والتفافهم حول كلمة الحق ، كما ذكر لهم استعداد الأزهر لتلقى طلاب العلم من جميع أرجاء العالم ، وتيسير وسائل الراحة لهم ، واستعداده لإرسال البعوث الأزهرية إلى من هم فى حاجة إلى تعلم الدين والتزود من ثقافته .

وقد ألح الوفد فى طلب تشريف الأستاذ الأكبر لبلادهم بالزيارة ، لأن مليونين من المسلمين هناك فى أشد الشوق لمقابلة شيخ الجامع الأزهر الذى أفاد من ثقافته المسلمون فى الشرق والغرب ، فوعدهم فضيلته بهذه الزيارة عند ما تسمح الظروف ، وقد أهداهم فضيلته بعض المصاحف والكتب الدينية ومجموعات من مجلة الأزهر .

حفل كريم

وجه سعادة سفير جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، الدعوة إلى الأزهر والهيئات المختلفة ، للاشتراك فى تكريم السادة علماء يوغوسلافيا ، فى حفل زاهر ، أتيح فيه التعرف والاطمئنان على أحوال مسلمى يوغوسلافيا ؛ مما يزيد العلاقات الودية بين جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية واتحاد الدول العربية قوة وازدهارا .

وأسرة تحرير المجلة تتوجه بالشكر الوافر إلى سعادة سفير جمورية يوغوسلافيا الاتحادية على دعوته الكريمة لها بحضور الحفل ، وتشيد بالرفاهية والسعادة التى يعيش فيها مسلمو يوغوسلافيا مع مواطنيهم ، بزعامة رجل السلام والحياد الرئيس تيتو المظيم .

« فلتنقذوا جميـــــلة »

باسم الله الرحمن الرحيم
باسم الله العـــادل الحكيم

السيد داج همرشولد سكرتير الأمم المتحدة، باسم الأحرار فى كل مكان ، باسم النضال المقدس من أجل السلام ، باسم كفاح البشرية الطويل المرير ، لتدعيم المعانى الإنسانية والقيم الأخلاقية ، باسم الأزهر أقدم جامعات العـالم .

نناشدكم

الإسراع فورا لإنقـاذ « جميـــــــــــــــــــــــــــــــلة »

توقيعـــــــــــــــــــــــــــــــات

(شيخ الجـامع الأزهر) (وكيل الجـامع الأزهر) (سكرتير الجـامع الأزهر)
(أعضاء جماعة كبار العلمـاء) (شيوخ وأساتذة وطلاب الـكليات والمعاهد الدينية)

الاستاذ الاكبر يهنىء السيد الرئيس جمال عبد الناصر

السيد الرئيس جمـال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

باسم الأزهر أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنئة على الخطـاب الوطنى الرائع الذى كشفتم فيه مؤامرة أعداء الوحدة العربية ، التى جاهدتم أنتم ونخامة الرئيس شكرى القوتلى ورجالات العرب الأحرار لتحقيقها ، وأحبى جيش الجمهورية فى شخص الضابط المخلص (عبد الحميد السراج) ، الذى ضرب المثـل الأعلى فى الشرف والـكرامة والتضحية بكل العروض والمغريات فى سبيل مجد العروبة ، وتقوية أركان الجمهورية المتحدة .

حقق الله على يديكم الآمال ، وأدام لـكم التوفيق والسداد .

شيخ الجـامع الأزهر

السيد الرئيس جمـال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة — دمشق

بمناسبة إعلان الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة أتقدم لسيادتكم والشعب العربى بأخلص التهانى بهـذا التوفيق العظيم فى دعم الوحـدة العربية ، وبناء الحيـاة الدستورية على أسس قومية سليمة ، ترد للشعب اعتباره ، وتكفل له حريته وحقوقه ، وتسير به فى خطا آمنة إلى المجد والعزة والسيادة .

فالى الإمام يا قائد العروبة ، تحرسك عناية الله ويفديك جندك المخلصون .

شيخ الجـامع الأزهر

تعليقات

مهاجمة الدكتور عبد العزيز القوصى لبرامج الدراسة فى الأزهر

مما قاله الدكتور مستشار التربية والتعليم ـ فيما نشرته الأهرام يوم ١٩٥٨/٣/١ ـ : مناهج الدراسة بالأزهر لا تتصل بالحياة الواقعية ـ

١ ـ وهذا الكلام وما يرادفه ، تجديد لدعوة سابقة إلى ـ الخطوة الثانية ـ والحاح من المجددين المتأمركين فى التخلص من الدراسة الإسلامية ، والاكتفاء عنها بما تقدمه المؤسسات اليهودية الأمريكية ، وبترجمة لبنا القوصى ، وينشره فى الجمهورية العربية المتحدة بنفوذه ، وعنوانه ، كمستشار للوزارة ، ورائد للثقافة المعاصرة .

وهو ينشره باسم الثقافة ، والتربية ، والعلم ، وما إلى هذا من الألفاظ الخادعة ، وليست من هذا فى قليل .

وكأن الأستاذ القوصى المستشار ـ والمستشار أمين .. والرائد ـ والرائد لا يكذب ـ كأنه بعد أن فرغ من إصلاح التربية فى وزارة التربية ، وبعد أن ركز التعليم فى المدارس كلها على كتب ـ شرشر ، وفرفر ، وبربر ـ تطوع بالاتجاه نحو الأزهر ليشغل فراغ نفسه بما كتب ، وبما اقترح .

وكأنه بالخوض فى سياسة الأزهر يتم رسالة موكولة إليه ، وينفذ خطة وضعت له .. والرجل تحت هذه الأعباء كلها نسى أمورا ألصق به مما تعرض له ، ونسى ورطة هو واقع فيها قبل أن يتورط فى شأن الأزهر : مما لا يتصل به كموظف ، ومما لم يسأل عنه كمستشار لغير الأزهر ـ بل مستشار غير ناجح فيما يخصه .

٢ ـ القوصى المستشار الفنى للتعليم تلقى ضربات قاسية فى تقارير ديوان الموظفين وتقارير وزارة الخارجية عن هبوط المستوى العلمى ، وضعف المتخرجين فى الكليات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجامعية . . وتعليل هذا فيما ذكرته التقارير فشل التعليم الأساسي في المدارس التي تعتبر مصدر التموين للجامعات ، ومع هذه الملاحظات المريرة يفهم المستشار أنه فرغ من عمله ، ونجح فيه ، فلا بأس أن يفيض على الأزهر بشيء من كفايته ، ولو لم تكن له صلة ، ولا خبرة بما لدى الأزهر من ثقافة وكتب .

٣ — القوصى الرائد للثقافة يتكفل بترجمة كتب أمريكية ، تقوم بنشرها مؤسسة تدعى ـ مؤسسة فرنكلن ـ وهذه كتب خبيثة غاية الخبث في إفساد النشء ، ودفعهم إلى المجون ، وانتزاع الحياء من وجوههم ، وإغرائهم بالعدوان على الأعراض ولو في الطرقات العامة ، وتزعم هذه الكتب أن الإقدام على هذه المحارم شجاعة ، والتخلف عنها جبن ، وهكذا مما يطول الحديث عنه ، والقوصى بترجمته لهذه المفاحش ، وبترويجه لها ، وتيسيرها على الشباب يعتبر نفسه مجاريا للحياة الواقعية ، أما الأزهر فآخذ بكتب قديمة ، فيها ما ينقض هذه المزاعم ، وفيها ما يحول بين الناس ـ وخاصة الشباب ـ وبين هذه المآثم الإجرامية ، وفيها تثقيف صحيح للدين والدنيا . . . ومادامت مؤسسة فرنكلن تغدق الدولارات وتملأ بها جيوب دعاتها فوجب على المستطيع أن يكون وفيا لها ، وطاعنا على الأزهر بما يسميه الحياة الواقعية ، وهي في الحق واقعية أولئك الوجوديين الذين يتنصلون من العقيدة في الله ، ومن التدين بصفة عامة ، ويؤمنون بما يحسونه فقط ، ويعملون بما يشتهون ، وإن قام هذا الاتجاه على نقض الأخلاق وهدم القيم .

٤ — لم يطلب الأزهر من المستشار إبداء رأيه في شيء ما .

ومستشار لغير الأزهر لا يملك التدخل فيه من تلقاء نفسه ، ولديه منفذ يتيح له أن يتقدم بما يراه إن صح أن له رأيا ينصح به .

وهو أنه عضو في المجلس الأعلى للأزهر ، فله أن يتقدم بمشروعه إلى هيئة المجلس ليأخذ نصيبه من البحث قبل الإعلان ، كما هو الشأن في موقف العضو من الجماعة ، ولو كان عضوا في عصابة .

ولكن المستشار تجاوز واجبه الواضح ، واقتحم الصحافة بغتة ، ورمى الأزهر بحجر طائش ، لم يمس الأزهر ، بل ارتد إلى جبين صاحبه على غير توقع منه لذلك .

٥ — هناك دوافع ورغبات ، استبدت بتفكير المستشار الرائد ، وحملته على الخوض في شأن غير مهضوم عنده ، ولو أنصف الرجل نفسه لتحرى قبل أن يكتب ، حتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يكشف للناس عن سقطته : وهو رائدهم فى مجال الثقافة كما يقال ، بل لو تحرى وأنصف لأشاد بنجاح الأزهر فى رسالته أضعاف ما نجحت جهات أخرى ، فيها دكاترة كثيرون من غراس العصر الدنلوبى الانجليزى ، ولا يزالون على ذلك الطراز يعيشون فى مصر بعقول انجليزية ، ويفقهون بمدارك مضطربة غير شرقية ، ويقلدون الاستعمار فى خروجه علينا بتوجيهات تفسد قوميتنا ، وتنقض أخلاقنا ، وتنتزعنا من نطاق التدين ، لتدفع بنا إلى إباحية مطلقة ، وتقصينا عن تقاليد كريمة ، هى طابع القومية العربية ، التى رسمها الإسلام قديما ، والتى طغت عليها عوادى الزمن ، حتى أفقنا أخيرا من غفلتنا ، وسمعنا الثورة تنادى بها ، وتسير حثيثا إلى تجديدها ، والاستظلال بعرشها ، والاستمداد من روحها وحيويتها ، وتلك هى القومية التى عاش الأزهر حارسا لتراثها .

٦ — شنع المستشار على ثقافة الأزهر ، وعلى مناهجه ، وكتبه القديمة التاريخ ، وعلى ألفية بن مالك فى النحو وطريقة حفظها الخ وأنا لا أقسو عليه كما قسا على الأزهر المظلوم وإن كان البادى أظلم .

بل أؤكد له أن فى الأزهر مناهج حديثة ، تحوى طائفة جمة من المواد ، يعجبه أن يراها فى الأزهر قبل أن يكون هو مستشارا بزمن .

فى الأزهر مراقبة فنية تشرف على علوم الرياضة ، ومراقبة أخرى تشرف على الآداب وكلتا المراقبتين من رجال فنيين ، اختارهم الأزهر من وزارة التربية والتعليم منذ عشرات السنين ، وفى الأزهر علوم التربية الوطنية ، والتربية الفنية ، ولغات أجنبية منها الانجليزية — كما يحب المستشار الفنى — ومنها الفرنسية والألمانية ولغات أخرى ، وفى الأزهر قسم للدراسات الاجتماعية ، وفى الأزهر ثقافة عسكرية إجبارية ، وفيه نشاط رياضى ، وثقافى وكل هذه الجوانب تحت إشراف الإخصائيين من رجال التربية ، ووزارتى الشئون والدفاع .

وقد بدا نشاط الأزهريين فى أسبوع الشباب الجامعى فأحرزوا ميداليات التقدير والشرف ، وإن لم يعرف ذلك المستشار ؟ .

وبدا نشاط الأزهر فى معرض الرسم المقام منذ عشرين يوما ، وزاره السيد وزير التربية ، وسجل فيه كتابة شهادته الحقة بقوة إبداع الأزهريين فيما عرضوه ، كما شهد به سفير أمريكا ، واقترح أن ينتقل المعرض الأزهرى من قطر إلى قطر لو أمكن .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٧ — وفى الأزهر طبعا دراسة إسـلامية هى وثيقة الإخاء بين أبناء العروبة ، وهى المزاج السماوى الذى جعـل المسلمين أينما كانوا كتلة واحدة ، يعبر عنها بالعرب ، أو بالقومية العربية دون نظر إلى لون ، أو لغة ، أو إقليم (إنما المؤمنون إخوة) .

هـــذه الدراسة يا دكتور قوصى يجب ويجب أن تتغلغل فى المـدارس والجامعات حتى تأخـذ حظها من النفوس ، وحتى تنهض عليهـا القومية العربية التى كلفت نفسك توجيهنا إليها فى حديثك ، والتى يفهمها الأزهر أكثر مما يفهمها غيره ، ويجب ويجب أن تبذل أنت نشاطك فى الدعاية لها أضعاف ما تبذل فى خدمة الـكتب الأمريكية إن كنت جادا فيما تقـول : وكنت وفيا بأمانة المستشار فى جمهوريتنا العربية المتحدة ! .

٨ — والأزهر يؤدى رسالته فى الوعظ والإرشاد على أحسن وجه يكفل إصلاح المجتمع خلقيا ، ودينيا ، واجتماعيا ، مما لا تستطيع الثقافة المدنية أن تقوم بشىء منه ، بل مما تحتاج الثقافة المدنية أن تقتبس منه لنفسها نصيبا كبيرا .

٩ — يا دكتور قوصى ! ! غضبت : لأن مجـلة الأزهر اعترضت على نشاطك الأمريكى الدنلوبى ، ولأن واحدا من رجال الأزهر كشف عن مساوئ التعليم المدرسى والجامعى فى محاضرة عامة ، فقمت تثار وتقول : كذا وكذا مما دسه عليك أتباعك .

وأخيرا : نصارحك بأن نقص الأزهر فى شىء واحد : هو خلوه من صالة فسيحة لرقص الباليه وغيرها ، ولعلها تكون وندعو إليها من يعيبون الأزهر ، ليرضوا عنه بعـد ، ويكون واقعيا معهم ، فانتظر مع الدكاترة الغاضبين ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

الازهر فى مباراة الخطابة والشعر

فازت الجامعة الأزهرية بكأس الرئيس جمـال عبد الناصر فى مباراة الخطابة والشعر التى أقيمت هذا الشهر فى أسبوع شباب الجامعات .

وكان موضوع المباراة (خطبة فى الاحتفال بمولد الجمهورية العربية المتحدة) . وقد اختار المتبارون هذ الموضوع من بين عشرة موضوعات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

صفوة البيان لمعانى القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف — جزآن بالقطع الكامل ٤٨٦ + ٥٨٤ ص
نشره السيد حسن الشربتلى

هذه خدمة جديدة جليلة لكتاب الله عز وجل ، يقوم بها عصرنا فى مصرنا ، اقتداء بما قام به سلفنا فى كل عصر ومصر ، من واجب العناية بالقرآن الحكيم ، وتقريب مقاصده من قلوب المسلمين وعقولهم .

وقد توجت صفحات هذا التفسير بالآيات الكريمة بحروف جلية جميلة ، مضبوطة بالشكل الكامل ، والعلامات الفنية للوقف والابتداء والوصل والفصل وغير ذلك مما امتاز به رسم المصحف العثمانى ، مع بيان لذلك فى ص ٥٨٣ — ٥٨٤ من الجزء الثانى بعد انتهاء الكتاب .

ويلى الآيات فى كل صفحة صفوة البيان لمعانيها بأسلوب جزل مفسرا الآيات المحكمات بما فسرها به أعلام أئمة التفسير ، ونبه فى المسألة الرابعة من المقدمة (١ : ٨) على مذهب السلف فى المتشابه كآيات الصفات (الرحمن على العرش استوى ، كل شىء هالك إلا وجهه ، ولتصنع على عينى ، يد الله فوق أيديهم ، والسماوات مطويات بيمينه) فقال : مذهب جمهور أهل السنة ، ومنهم سفيان الثورى وابن المبارك وابن عيينة ووكيع والأئمة الأربعة ، إنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها ، مع تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث . ونقل نصوص الأئمة فى ذلك ، وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان .

وبالجملة فان هذا التفسير الوجيز من خير ما يوضع فى أيدى الجمهور لمعرفة ما ينبغى للمسلم معرفته من معانى القرآن ، فقد جمع إلى جمال التأليف جمال الطبع . وكما نشكر الأستاذ المؤلف على هذه الخدمة منه للاسلام نشكر الوزير السعودى معالى السيد الشربتلى على قيامه بنفقات طبعه ، وجعله نسخه وقفا لله عز وجل . تولى الله مكافأتهما .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهج القرآن فى بناء المجتمع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت ـ ٢٣٢ ص ـ إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف

هذه فصول جمعت بين الإيجاز والإحاطة ، تناولت الحديث عن المجتمع الإسلامى كما يتحدث عنه الإسلام ، وقد رأت إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف أن تنتفع به الجماهير فقامت بنشره . ومن أهم فصوله : أساس الإسلام فى رباط المجتمع . التبتل فى نظر الإسلام . التكالب على الدنيا . الروحية المهذبة . الإسلام دين العقل والعلم . مكانة العلم فى الوقاية من الأمراض . التضامن الاجتماعى . الأموال . التضامن المادى . أساليب القرآن فى الدعوة إلى الإنفاق . التسول . استغلال حاجة المحتاج . الدين والاجتماع . العبادات الإسلامية . العناية باليتيم . كيف نحيى العمل بالإسلام . الإسلام يدعو إلى التقدم . خير السبل لتوحيد كلمة المسلمين . الأعمال وأساس قبولها عند الله . الابتداع فى الدين . التعاليم المحمدية واتصالها بالكون . العظمة المحمدية . القرية السعيدة . نتائج الميلاد النبوى . ندوة العلم والتعليم فى خدمة المجتمع . وهذا الكتاب هو الحلقة الخامسة من نشرات إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف . فنلفت إليه الأنظار .

نظرات فى الاسلام

لفقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز — ١٢٦ ص ـ المكتب الفنى للنشر

هذا آخر ما نشر من مؤلفات فقيد الأزهر الدكتور محمد عبد الله دراز ، ويتلخص موضوعه فى كلمة قالها المؤلف رحمه الله فى المقدمة « لقد نظرنا فى تاريخ الحركات الدينية ، وتاريخ الرسالات الإصلاحية ، ونظرنا فى تاريخ الدول الناشئة وتاريخ الدعوات الجديدة ، فما رأينا كرسالة الإسلام : لا فى تمكنها واستقرارها حيث بلغت من أقطارها ، ولا فى عمق نفوذها وبعد آثارها » .

وهذا الحكم برهن عليه المؤلف فى أربعة فصول هى : مع التشريع الإسلامى ، فى حياتنا الاجتماعية ، بين المثالية والواقعية ، الإسلام والعلاقات .

وهو من الكتب الجيدة التى ينبغى لشباب المسلمين الاطلاع عليها ، والإحاطة بأغراضها ومراميها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

فى طريق الاتحاد

فى صباح يوم الجمعة ١١ رجب (آخر يناير) وصلت إلى القاهرة الطائرة المصرية التى أقلت الرئيس شكرى القوتلى من دمشق ومعه السادة الوزراء صبرى العسلى وخالد العظم وصلاح الدين البيطار وفاخر الكيالى ومأمون الكزبرى وأسعد هارون وخليل الكلاس وحامد الخوجه وصالح عقيل واللواء عفيف البزرى وفؤاد الحلبي والدكتور حسنى سبح وفؤاد الشايب ، وكان يحرس الطائرة بين دمشق والقاهرة سرب من الطائرات المصرية النفاثة .

وكان فى استقبالهم فى مطار ألماظة الرئيس جمال عبد الناصر والوزراء المصريون ورجال السلك الدبلوماسى يتقدمهم سفير سوريا .

ودوت المدافع فى أجواء المطار ساعة اللقاء تحية وتعظيما ، ثم توجه موكب القادمين والمستقبلين إلى القصر الجمهورى بالقبة ، وبعد راحة قليلة توجهوا إلى الجامع الأزهر لأداء فريضة الجمعة ، وكانت الهتافات تعلو بالتحية والدعاء للعروبة المتحدة على طول الطريق ، والزهور تنثر على الموكب من شرفات المنازل ، والأعلام المصرية والسورية تخفق فى كل مكان بين أقواس النصر وأنغام الفرق الموسيقية المختلطة بالهتافات والزغاريد .

ولما وصل الموكب إلى الجامع الأزهر كان فى استقباله فضيلة الأستاذ الأكبر والوزراء وكبار العلماء ووكيل مجلس الأمة . وبعد أداء صلاة تحية المسجد والاستماع إلى آيات الذكر الحكيم خطب على منبر الأزهر فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر والرائد الدينى لجمعيات الشبان المسلمين وكان موضوع الخطبة (الوحدة فى الإسلام) ، وبعد انتهاء الصلاة كان الازدحام الشعبى فى طريق عودة الموكب أعظم مما كان عند القدوم فقطع ركب الرئيسين مسافة لا تزيد على كيلو مترين فى أكثر من أربعين دقيقة .

وقد وجه السيد شكرى القوتلى رسالة إلى الشعب العربى فى مصر أعلن فيها أن ميثاقا جديدا للقومية العربية قد ولد ، وأنه سيكون نقطة تحول كبير فى مجرى أحداث هذا الزمان .

وثيقة

إعلان الجمهورية العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٢ رجب (أول فبراير) وكان يوم عيد عام احتشدت فيه مئات الألوف من أفراد الشعب أمام دار رياسة الجمهورية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالقاهرة ، وقف السيد صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا ، بإذن من الرئيسين القوتلى وعبد الناصر وتلا هذا البيان الرسمى مملنا وثيقة قيام الوحدة بين مصر وسوريا :

« فى جلسة تاريخية عقدت فى قصر القبة فى القاهرة فى ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق أول فبراير ١٩٥٨ ، اجتمع فخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلى جمهوريتى سوريا ومصر (وذكر أسماءهم) وكانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا فى الإجراءات النهائية لتحقيق إرادة الشعب العربى ، ولتنفيذ ما نص عليه دستورا الجمهوريتين من أن شعب كل منهما جزء من الأمة العربية لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى من الموافقة الإجماعية على قيام الوحدة بين البلدين كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، كما تذاكروا ما توالى فى السنين الأخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب فى مختلف أقطارهم ، ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم . وانتهوا إلى أن هذه الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية هى طريق العرب إلى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الإنسانية للتعاون والسلام . ولذلك فإن واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الأمانى إلى حيز التنفيذ ، فى عزم ثابت ، وإصرار قوى .

ثم خلص المجتمعون من هذا كله إلى أن عناصر قيام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها قد توافرت بعد أن جمع بينهما فى الحقبة الأخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا ، وأكد أنها حركة بناء وتحرير ، وعقيدة تعاون وسلام .

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد سوريا ومصر فى دولة واحدة اسمها (الجمهورية العربية المتحدة) — كما يعلنون اتفاقهم الإجماعى على أن يكون نظام الحكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رياسيا يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد . ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظل شعبا واحدا وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها أبناؤها فى الحقوق والواجبات ، ويدعون جميعا لحمايتها بالأنفس والمهج والأرواح . ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها . وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين ببيان إلى الشعب يلقى أمام مجلس النواب السورى ، ومجلس الأمة المصرى فى يوم الأربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ (٥ فبراير) يبسطان فيه ما انتهى إليه هذا الاجتماع من قرارات ... كما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سيدعى الشعب فى مصر وسوريا إلى استفتاء على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية.

والمجتمعون إذ يعلنون قرارتهم هـذه يحسون بأعمق السعادة إذ شاركوا فى الخطوة الإيجابية فى طريق وحدة العرب حقبة بعد حقبة ، وجيلا بعد جيل ، وإذ يقررون وحدة البلدين يعلنون أن وحدتهم تتوخى جمع شمل العرب ، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى يريد أن يشترك معها فى وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الأذى ، ويعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها ، والله نسأل أن يكلأ هذه الخطوة وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة وبفضل عنايته السابغة ، وأن يكتب للعرب فى ظل الوحدة والعزة السلام » .

إجماع ممثلى الشعبين

فى الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين من مساء الأربعاء ١٦ رجب (٥ فبراير) خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الأمة بالقاهرة ، وفى نفس اللحظة خطب الرئيس شكرى القوتلى فى مجلس النواب بدمشق ، فأعلنا أسس الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان مجلس الأمة المصرى يصفق فى كل مرة يذكر فيها اسم الرئيس القوتلى ، فى الوقت الذى كان مجلس النواب السورى يصفق عند سماع اسم الرئيس جمال عبد الناصر . وقد أجمع المجلسان على القرارات المشتركة التى أعلنت يوم ١٢ رجب (أول فبراير) فى وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة . وأعلن الرئيسان فى وقت واحد إجماع الشعبين على تحقيق الحلم الذى راود العرب وكان مشرق الوحدة . وقال جمال عبد الناصر : « يجب أن تتحول أمانينا إلى فيضان منظم ، لا إلى طوفان عال شديد » . ووصف القوتلى الوحدة بأنها : « حدث الأحداث فى هذا العصر » . وقال : « من واجبى أن أكون أول مواطن يرشح عبد الناصر الرجل المؤمن والقائد الملهم لرياسة الجمهورية العربية المتحدة » .

الاستفتاء

فى يوم الجمعة ٢ شعبان (٢١ فبراير) جرت عملية الاستفتاء فى جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة (إقليم مصر ، وإقليم سوريا) فى الموافقة أو عدم الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفى الموافقة أو عدم الموافقة على اختيار الرئيس جمال عبد الناصر لهذه الرياسة .

وقد وافق الناخبون فى مصر على وحدة سوريا ومصر بأغلبية ٦١٠٢١٢٨ صوتا مقابل ٢٤٧ ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

ووافق الناخبون فى مصر على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المتحدة بأغلبية ٦١٠٢١١٦ صوتا مقابل ٢٦٥ صوتا ، وكانت النسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩٨,١٣ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٩ ٪ .

وفى سوريا كان عدد الناخبين المدعوين لإبداء الرأى ١٤٣١١٥٧ ، وقد اشترك منهم فى عملية الاستفتاء ١٣١٣٠٧٠ ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين إلى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد آراء الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٨ ٪

ووافق الناخبون فى سوريا على انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية ١٣١٢٨٠٨ صوتا مقابل ١٨٧ صوتا ، والنسبة المئوية لعدد الحاضرين الى عدد الناخبين المدعوين ٩١,٧٥ ٪ ، والنسبة المئوية لعدد الموافقين إلى عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩,٩٨ ٪

جمال فى دمشق

فى الساعة التاسعة إلا ربعا من صباح الاثنين ٥ شعبان (٢٤ فبراير) كان جماعة من قواد الجيش السورى يتقدمهم اللواء عفيف البزرى وآخرون ينتظرون فى مطار المزة بدمشق وصول القائد العام المشير عبد الحكيم عامر من القاهرة ، ولما فتح باب الطائرة فوجئوا بالرئيس جمال عبد الناصر وهو يهبط من سلم الطائرة ويمد إليهم يده مصافحا ومن خلفه المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وعبد القادر حاتم .

وفى دقائق انتشر الخبر على الطريقة العربية إلى أحياء دمشق ، ثم إلى الضواحى ، فسائر المدن السورية ، فالى لبنان ، والأردن ، والعراق . وقضى جمال عبد الناصر أكثر من عشرة أيام (إلى ساعة كتابة هذا) وهو يستقبل عشرات الألوف المتواصلة فوجا بعد فوج وموجا بعد موج وسيلا بعد سيل فى النهار والليل ، ويلقى عليهم الخطب من شرفة دار الضيافة ، بما عجزت أقلام الصحفيين والمراسلين عن استيفاء وصفه ، حتى كان ذلك استفتاء آخر شعبيا عن مبلغ ابتهاج القومية العربية بالجمهورية العربية المتحدة وبطلها المؤمن الملهم الذى كانت العروبة تنتظره منذ أمد طويل حتى ظفرت به واستيقظت حيويتها بقيادته الحكيمة الموفقة . وقد أحصت الجهات الحكومية فى لبنان عدد اللبنانيين الذين زحفوا إلى دمشق لتحية قائد العروبة بأكثر من ستمائة ألف لبنانى من جميع الطبقات والمذاهب ، حتى مات أعداء تحرر العروبة بغيظهم ، وحاروا فيما يصنعون أمام هذه الحيوية التى كانت بعثا جديدا للعرب فتحت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

به الأبواب إلى مستقبل له ما بعده إن شاء الله .

خطبة لجمال فى دمشق

ألقى الرئيس جمال عبد الناصر بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ شعبان (٢٦ فبراير) خطبة من خطبه المتواصلة فى دمشق قال فيها :

« ان الشعب العربى يمسك زمام الموقف بيده ، ويقرر مصيره بنفسه اليوم لا مستقبل للذين ينادون بشعار الوحدة بأقوالهم ويعملون ضدها بأفعالهم ، ولا مستقبل للذين يعتقدون أن يقظة شعوب العرب ضد مصالحهم الشخصية . إن الشعب العربى وآماله لن تورث بعد اليوم ، انها ليست تركة . إننا نساند جميع البلاد العربية ، وإننا نسالم من يسالمنا ، ولا نعادى إلا من يعادينا . لقد وقفنا ضد حلف بغداد لا من أجل أن اسمه حلف بغداد ، بل لقد كنا نحب أن حلف بغداد هذا يكون حلفا عربيا للعرب منبثقا من ضمير العرب لصالح العرب ، ولو أنه كان كذلك ، لكنا أول من يرحب بحلف بغداد ، ونرحب باسم بغداد . إننا نعتز ببغداد ، ونعتز باسم بغداد ، ونعتز بالعراق وشعب العراق ، ولكنا قاومنا حلف بغداد وحاربناه لأنه يمثل فى هذه المنطقة النفوذ الأجنبى ، وحينما أعلنا أننا نقاوم حلف بغداد كنا نقاوم السيطرة الأجنبية ومناطق النفوذ » .

جمال فى خط النار

كانت أول زيارة قام بها الرئيس جمال عبد الناصر وهو فى إقليم سوريا هى زيارة القوات المسلحة للجمهورية فى الخطوط الأمامية ، فقد فاجأ الرئيس ضباطه وجنوده على حدود إسرائيل مع مطلع الفجر من يوم الخميس ٨ شعبان (٢٧ فبراير) فأقبلوا عليه يعانقونه ويقبلونه ويهتفون بحياة محقق الوحدة ومنشئ الجمهورية العربية المتحدة وقاهر الاستعمار وأعوان الاستعمار . وعلمت المناطق المجاورة لخط النار بوجود الرئيس فتقاطرت جموع الأهلين واشتركوا مع الضباط والجنود فى تحية الرئيس .

انضمام اليمن

إلى الجمهورية العربية المتحدة

كان الأمير سيف الإسلام البدر نجل إمام اليمن وولى عهده قد زار مصر فى الشهر الماضى مع وفد من أهل الحل والعقد فى اليمن ، وتفاوض مع الرئيس ورجال الجمهورية فى الأسس والقواعد التى يمكن أن يقوم عليها اتفاق انضمام اليمن الى الجمهورية العربية المتحدة ، ثم سافر إلى تعز للاجتماع بوالده والحصول منه على الموافقة على هذه الأسس والقواعد .

وفى صباح السبت ١٠ شعبان (أول مارس) وصل الأمير سيف الإسلام إلى دمشق عائدا من اليمن ومعه توقيع جلالة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والده الإمام على كل وثائق قيام الاتحاد الفيدرالى بين اليمن من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى ، ويحمل كذلك تفويض جلالة والده الإمام له فى أن يوقع الاتفاق النهائى بحضور الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وفى يوم الأحد ١١ شعبان (٢ مارس) أعلن الأمير البدر فى دمشق قرار اليمن بالاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأمسك الرئيس جمال عبد الناصر بيد الأمير البدر ورفعها إلى أعلى وسط هتاف الجماهير الحاشدة وقال :

« إننا حينما نرحب باليمن العزيز ، وحينما نرحب بخطوة الإمام أحمد ملك اليمن ؛ إنما نشعر من كل قلوبنا أن ذلك الاتحاد الذى انبثق من صميم الأمة العربية هو القوة التى نسعى إليها ، وأنه نواة للوحدة العربية الشاملة » .

وقال الأمير البدر : « إننا نعاهد الله على أن نعمل منذ اليوم على تحقيق كل ما نصبو اليه ، فنحرر فلسطين الذبيحة ، ونطهر الجنوب اليمنى المحتل ، كما نطهر كل بقعة من بقاع العالم العربى » .

الدول العربية المتحدة

فى يوم السبت ١٧ شعبان (٨ مارس) أعلن فى دمشق توقيع ميثاق بانشاء اتحاد فيدرالى بين الجمهورية العربية المتحدة وإمامة اليمن . وينص هذا الميثاق على إنشاء اتحاد يسمى (الدول العربية المتحدة) ، وأنه مفتوح لجميع الدول العربية ، وينشأ له (مجلس أعلى) يتألف من رؤساء الدول الأعضاء فى الاتحاد ، ويختص بالسياسة العليا ، ويصدر القوانين الاتحادية ، ويعين القائد العام ، ويضع الميزانية العامة .

وينشأ (مجلس اتحادى) لمعاونة المجلس الأعلى ، أعضاؤه يمثلون الدول الأعضاء فى اتحاد الدول العربية . وتكون رياسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء ، وهو يضع البرنامج التنفيذى لسياسة المجلس الأعلى ، ويشرف على تنفيذ القوانين الاتحادية ، ويتفرع من المجلس الاتحادى (مجلس دفاع) و (مجلس اقتصادى) و (مجلس ثقافى) .

والقوانين الاتحادية لها قوة إلزامية ، ويعين رئيس كل دولة وزيرا له لدى الدول العربية المتحدة للاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد ، ويلغى التمثيل السياسى بين الدول الأعضاء . ولكل مواطن فى الدول العربية المتحدة حق العمل فى أى دولة منها . والمساواة بين كل المواطنين دون تفرقة . وحرية التنقل مكفولة . وللدول العربية المتحدة سياسة خارجية موحدة ، وهيئة واحدة للتمثيل السياسى ، وقوات مسلحة واحدة ، وتنفذ الشئون الاقتصادية وفقا لخطط مرسومة ، وتنسق أمور التعليم والثقافة ، وينشأ اتحاد جمركى يحدده القانون .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهـرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــلم
٦٧٣	العروبة من جذورها ـ إلى أغصانها ، وثمراتها	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٨٢	نفحات القرآن : عبرة ملسية	« عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٦٨٥	السنة : كيف يقبض العلم ؟	« طه محمد الساكت . . . . .
٦٨٩	الفقه : الطلاق فى الاسلام	« عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . .
٦٩٥	حصوننا مهددة من داخلها : « فى جامعة الدول العربية »	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الاسكندرية
٧٠٦	سلسلة الفقه الاسلامى ـ ٢ ـ	الأستاذ عبد الله مصطفى المراغى . . .
٧٠٩	نحو مجتمع إسلامى : بين الوقاية والتقوى .	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
٧١٣	القراءات الشاذة « آراء علماء الاسلام فيها »	« عبد الفتاح القاضى المفتش بالأزهر
٧١٨	الأزهر يكافح سموم المخدرات	« محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء
٧١٩	المسئولية فى الاسلام ـ ٣ ـ	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٣	عقائد الوهية والربوبية « كما قررها الاسلام »	« يس سويلم طه المفتش بالأزهر . .
٧٢٨	سابق الفرس إلى الاسلام « سلمان الفارسى »	« محمود النواوى . . . . .
٧٣٦	شيخ الأزهر السابق : السيد محمد الخضر حسين	« محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٤٥	رجل عظيم	« طه محمد الساكت . . . . .
٧٤٧	قيام الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس لها	. . . . .
٧٤٨	رد السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة على تهنئة فضيلة الأستاذ الأكبر	. . . . .
٧٤٩	بيان من مشيخة الأزهر بمناسبة الاستفتاء على قرار الوحدة بين مصر وسوريا وانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة	. . . . .
٧٥٠	كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة	. . . . .
٧٥٢	وليد ميمون « الجمهورية العربية المتحدة »	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٧٥٥	وثبا . . نحو وحدة العرب	« فتحى عثمان . . . . .
٧٦١	وحدة مصر وسوريا « قصيدة »	« محمد مختار سليمان مدير الأستاذ بكلية أصول الدين . . . . .
٧٦٧	كلمة عن تاريخ اليمن وأطوارها	« عباس طه الحامى . . . . .
٧٧٠	شيخ الجامع الأزهر يستقبل وفد علماء يوغوسلافيا	. . . . .
٧٧١	فلتنفذوا جيلة	. . . . .
٧٧٢	تعليقات	« عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٧٧٦	الكتب	المجلة
٧٧٨	العالم الاسلامى	«